الجزء الثانى
خبرات الطفولة

الفصل السادس

التعلم على حجر الأم

(٢-٦-١) : مقدمة

فى اللغة العربية قد نقول على حجر الأم ، ولغويا الحجر يعنى الحضن ، وبذلك يكون المعنى المقصود : التعلم فى حضن الأم ... وقد يبدو هذا غريبا ولكن السطور التالية تزيل هذه الغرابة ... المهم هنا هو : هذا الالتصاق وانعدام المسافة بين الطفل وأمه فى سنوات ما قبل المدرسة ، ونكرر حجر، أو حضن الأم .. الأم .

لكى تشكل الأم نمو طفلها ، فهى تعتمد على هذه العلاقة بينها وبينه ، علاقة فيها الالتصاق والحساسية ، والأهداف المشتركة . وتسرى هذه الخصوصية فى العلاقة عندما نتحدث عن المعلمة فى تعاملها مع الطفل فى بداية دخوله أول مؤسسة (تعليمية) . ويعتبر هذا الالتحاق والالتصاق الجسمى والنفسى بين الطفل وأمه ، مقياس نجاح الأمومة اليابانية . كما أن هذا الالتصاق الملتحم يؤدى إلى إعطاء الأم فرصة لتكوين فهم حدسى واع لسمات وسلوك وأحاسيس طفلها . هذا الفهم يساعدها على تشكيل نموه .

وتسوق المؤلفة الأمريكية موقفا لأحد طلبتها وكانت أمه يابانية ، فهو عندما قدم لها بحثا قصيرا - كطالب لأستاذه - يصف مدى علاقته بأمه ، صدر بحثه بالسطور التالية :

أنا

مثل قطعة

الصلصالدائما

أشكل إلى أشكال مختلفة

بواسطة يدين ثابتتين قويتين

وتحس الأم اليابانية بداخلية طفلها ، وما يعتمل بها من حاجات ورغبات تحققها له وترضيه ، دون أن يفصح طفلها باللفظ عنها . فهى تستجيب لإشاراته كما تشجع ردود أفعاله لاستجاباتها ، وبهذا يتكون بينهما جو مشترك قوامه الأحاسيس الصامتة المتبادلة . وبذلك .. يتعلم الطفل - بصورة مستمرة - تجنب المواقف التى تسبب مضايقات للغير ، أى يبدأ الطفل منذ البواكير فى تدبر العواقب التى تنجم عن سلوكه نحو الآخرين ، ونكرر .. سلوكه نحو الآخرين . كما أنه يتوقع من غيره مثل هذه المعاملة . وبالاختصار ... فإن الطفل يرتبط منذ البداية بأمزجة وأحاسيس الآخرين [١] بمعنى أنه بينهم .

نلاحظ هنا أن المعاملة بين الأم وطفلها تتسم بالتعاون ، وليس بممارسة سلطة الكبير على الصغير دون الإخلال بهذه السلطة . وقد عبر لانهام Lanham عن هذا بقوله : « ... لأن الأمهات قد تخلصن من مشاعر السلطة المتسلطة والمتمركزة حول (الأنا) نحو أطفالهن ، بل أنهن قد يتقبلن نقد أبنائهم لسلوكهن .... ويقدمن الاعتذار » [٢] .

وتتخذ الأم من علاقتها بطفلها نموذجا - لتعلمه جوهر العلاقات التبادلية بين الفرد والآخرين ، ولكنها توضح له أن السلوك المسموح بين الأم وطفلها - قد لايسمح به فى علاقاته مع غيرها . بمعنى أن من أهم مسئوليات الأم أن تعود طفلها الاعتماد على الآخرين أحيانا ، وأن يعتمد عليه الآخرون أحيانا أخرى ، وأن تكون لديه القدرة على أن يستشعر انفعالات وأمزجة الآخرين .

وتحاول الأم باستمرار تجنب المواجهة الصريحة مع طفلها ، فهى تعمد إلى تشجيعه ، وتعزيز سلوكه الذى يتجاوب مع ما يحقق مطالبها ، ويتم هذا تدريجيا ويصور شتى على طريق تحقيق ما تنشده له من أهداف . فإذا حبا الطفل ابتسمت وشجعته لكى يقف ، فإذا وقف عززت نجاحه وشجعته لكى يخطو ... هكذا يقول اليابانيون . وإذا ثار غضب طفلها محتجا ، أو معارضا فهى تعمد إلى إبقاء علاقاتها الإيجابية ، به دون أن تأخذ موقفا فيه ضغط على رغباته حتى لاينعزل نفسيا عنها ، أى لا تتم حالة من الاغتراب عنها . وبهذا الأسلوب فى المعاملة فهى لاتدربه فقط على أسلوب التعامل الذى ترتضيه هى ، ويرتضيه المجتمع بعامة ، ولكنها تعوده على الأعمال اليومية المنتظرة منه (مثل : تنظيف الأسنان ، وارتداء ملابسه بنفسه...إلخ) . وبذلك لايتعرض الطفل باستمرار لأوامر صارمة غير مرنة ، ولكنه يتعرض لمجرد اقتراحات لما يتعين عليه أن يسلكه ، فى جو مشبع بالتشجيع وتوقع مطمئن إلى أنه سوف يسلك السلوك المطلوب المرضى عنه .

(٢-٦-٢) : المنهج المنزلى

تعمل معظم الأمهات اليابانيات على تدريب أطفالهن على ركائز التعليم قبل دخولهم المدرسة الابتدائية ، إيمانا منهن ، أن هذا التدريب أساسى للنجاح فى المدرسة فيما بعد . وتعتبر سن الثالثة هى نقطة الانتقال من مرحلة التنشئة ، إلى مرحلة الإعداد للمدرسة . غير أن المعلمين لايشجعون هذا الدور الذى يقوم به البيت لطفل ماقبل المدرسة ، ولكن كثيرات من أمهات الطبقة الوسطى يفضلن الاستمرار فى أداء هذا الدور المنزلى . وتعلم الأمهات فى المناطق الحضرية (غير الريفية) أطفالهن الحروف الهجائية والعد ، حتى رقم المائة مع أداء بعض العمليات الحسابية الخفيفة التى لايتجاوز ناتج أية عملية منها رقم عشرة ، أى جمع ٥ + ٣ ، أو طرح ٧ - ٤ .. إلخ . كل هذا قبل أن يدخل الطفل الصف الأول الابتدائى . هذا .. إلى جانب حفظ وترديد بعض الأناشيد والأغنيات . أما رياض الأطفال .. فغالبا لا تعلم هذه المهارات القرائية والحسابية بشكل نظامى ، حيث يكون الاهتمام موجها نحو النمو الاجتماعى والقيمى والتهيئة العقلية والحركية لدخول المدرسة الابتدائية .

وتتساءل المؤلفة عما تفعله الأمهات مع أطفالهن ، فى مرحلة ما قبل المدرسة لتعليمهم المهارات العقلية ، وتنميتهم المعرفية ، إذ إن هذا يثير اهتمام الأمريكيين بالذات الذين ينظرون بعين الحسد لمستوى التحصيل الذى يحققه الأطفال اليابانيون . وينظر الأمريكيون نظرة تقدير بالغ ، كذلك إلى الساعات التى يقضيها الأطفال فى تعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب .

تأخذ الأمهات اليابانيات أمر تعليم أطفالهن قبل المدرسة مأخذ الجد ، والحرص البالغين ، فهن يقدمن (منهجا) محدد الأهداف فى وعى وحساسية ، ولكنه يقدم بطرق طبيعية وليس بطريقة نظامية جامدة ، حيث يمضين ساعات طويلة يمارسن أعمالا تعاونية مع الأطفال ، مثل : الرسم ، وقراءة القصص ، والألعاب التى تتطلب كتابة أو

عدا.. إلخ. ولا يبخل أولياء الأمور على أطفالهم فى شراء الألعاب التعليمية ومجلات، خاصة تلك التى فيها صور ملونة وباخراج متميز . وحتى عندما تأخذ الأم طفلها إلى حيث يلعب ، فهى لا تكتفى - كالأم الأمريكية - بمراقبة سلامته الجسمية وعلاقاته الاجتماعية ، ولكنها أيضا تعلمه ... فهى مثلا تسأله : كم من (البلى) مع فلان ؟ وكم تبقى معه لو أخذنا منه اثنتين منهما ؟ وكم يكون معه لو أعطيته واحدة، أو اثنتين ؟ . ولكن فى أمريكا تكتفى الأم بشراء العاب تعليمية يعلن عنها وأنها تعطى الأطفال أوقاتا سعيدة مرحة مرضية . الفرق واضح ... فالطفل اليابانى يتعلم بالمشاركة فى النشاط أو فى اللعبة مع أمه وغيرها ، أما الطفل الأمريكى فيتعلم بمفرده مع لعبته .

وإلى جانب هذا المحصول المعرفى المتزايد .. تدرب الأم اليابانية تدرب طفلها على «التركيز» ، والأمر المهم هنا أن : الطفل يتعود على الانغماس والتركيز فى أداء عمل واحد فى الوقت الواحد ، ويتعلم عدم التشتت والانهماك المخلص فى إنجاز العمل الذى يعمله ، وتساعده الأم بمنتهى الحرص على أن يترك كل شىء ، إلا العمل الذى انغمس فيه وأعطاه كل اهتمامه ونشاطه ، بل إن الأمهات يعترضن على ما يسلكه بعض المراهقين المحدثين الذى يفاخرون بأنهم يؤدون أكثر من عمل فى وقت واحد ... بل يكون الإصرار عند الأم - حتى عندما يشاهد طفلها برنامجا فى التليفزيون - إلا يشغل بعمل آخر .

ولعل القارىء يتساءل معنا ... ما الهدف الحقيقى لما تبذله الأم مع طفلها فيما يبدو لنا برنامجا جادا يعتمد على استراتيجية واعية لتعليمه التركيز ؟ ... ترى الأم أن هذا إعداد طيب لما سيحدث فى المستقبل عندما يدخل إبنها امتحانات تنافسية مع غيره من الطلاب ، ولكن .. ما الوقود الذى يشعل مجهوداتها ويوجهها فعلا ؟ الوقود هو رغبتها الحقيقية الأصلية فى تعليم طفلها الانغماس الإيجابى المركز فى نشاط ما ... أما محتوى هذا النشاط فليس هو المهم ، بل هو بمثابة الوسيلة التى تحقق هدفها، وما تصبو إلى تكوينه فى طفلها من عادة التركيز .

(٢-٦-٣) : الرابطة الدافعة

ولعل الدينامية النفسية التى تدفع الأم إلى القيام بواجباتها الشاقة والمرهقة نحو طفلها هى : رغبتها فى تنمية ودعم الرابطة القوية بينها ، وبينه ، وإشعاره دائما بحاجته إليها ، وأنها ملجأه وملاذه ، وهو ما سبق أن عبرنا عنه بعلاقة «الآمای» بين الأم والطفل. وتعمل الأم على أن يفرق الطفل بين نوع علاقته بها وبين سلوكه الاجتماعى المرغوب خارج الأسرة . وفى نفس الوقت تتطلب الأم من طفلها سلوكا ناضجا أحيانا ، وإن عليه أن يدرك توقعات الآخرين منه ، وتحقق الأم ذلك بإظهار شىء من عدم الرضى والضيق إذا لم يحقق الطفل ما تريده ، وتعبر عن هذا ضمنيا فى سلوكها نحوه دون أن تعلن صراحة . وهى فى كل هذا تحاول أن تشكل الطفل نحو سلوك أكثر نضجا . وإذا رفض الطفل الانصياع كما تريد .. فإنها تتراجع ، ولكنها فى نفس الوقت تؤكد الرابطة بينها وبين طفلها . غير أنها تتحين الفرص لتحقق ما تريده منه ، ولديها الثقة فى أنها ستنتصر فى نهاية الشوط .

وترى المؤلفة الأمريكية أن أغلبية الأمهات اليابانيات يفتقدون الوعى الشعورى لهذه الديناميات النفسية ، ولكنهن متأكدات داخليا أنهم يساعدن أطفالهن ، وأن مانتصوره نحن تحكما فى الطفل هو من وجهة نظر الأم اليابانية ، هو مجرد طريقة معاملة فرد ليس مستقلا بعد، وإن ما تتحكم فيه الأم هى العلاقة بينها وبين طفلها وليس الطفل نفسه . ولهذا .. فإن المؤلفة لا ترى ضررا يمس الطفل اليابانى من هذه المعاملة ، بل ترى ضررا يحيق بأطفال فى مجتمعات أخرى نتيجة أساليب تنشئة مغايرة .

تؤمن الأم اليابانية أن نجاح طفلها هو نجاحها ، وهى لذلك حريصة على إعداده للنجاح خارج البيت . ولكنها تحرص أيضا على أكثر من ذلك ، فهى فى البداية تريد تكوين علاقة مع طفلها تستمر مدى الحياة ، أى ترى فى الأمومة استمرارية مع حياة طفلها ، أو إلى أن ينتهى عمرها. هى إذن - كما ذكرنا- رابطة متبادلة لاتنفصم عراها.

(٢-٦-٤) : تعلم الطريقة

لماذا تشجع الأم في طفلها المهارات الاجتماعية والسيكلوجية ؟ ترى الأم أن الطفل «الصالح» أى المربى جيدا هو الذى يشارك بإخلاص فى تحقيق أهداف الكبار ، حيث يعتبر هذه الأهداف أهدافه هو . ويظهر هذا الإخلاص عندما يقتنع الطفل داخليا بأهمية هذه الأهداف ، ونؤكد هنا على داخلية الطفل (جوانية الطفل) . وبمعنى آخر... فإن سلوك الطفل يعبر عن خلقه وصفاته أكثر مما تعبر عنها نتائج عمله . وترى المؤلفة الأمريكية أن ما يهم الطفل الأمريكى فى المقام الأول هو ما يحصل عليه من نتائج عمله ، حيث إن الحكم عليه يكون فى ضوء تلك النتائج وليس على أساس كيفية تحقيقه لها .

وفى اليابان .. فإن التكامل حادث بين اتجاهات الفرد وأدائه فى عمل ما ، وينطبق هذا على سلوك الطفل ، وخلال سنى حياته ، أى فى كل الأعمار . وتفصيل لما ذكرناه فى تحليل لعلم الفرد اليابانى .. فإنه يتضمن : اتجاها مناسبا نحو العمل ، وطاقة تبذل فى الأداء ، وصبرا أثناء القيام بالعمل ، إلى جانب التنبه لأدق التفاصيل التى يتطلبها إنجاز العمل . وتمتد جذور هذا المبدأ ، أى أولوية طريقة أداء العمل على المنتج ذاته، إلى تقاليد «الصبينة» ، أى التلمذة على الكبار فى تعلم الحرف المختلفة، فإذا أراد الصغير أن يتعلم طريقة عمل شىء ما .. فعليه أن ينتبه بإمعان لكل خطوة مطلوبة لأداء هذا العمل ، وعندئذ .. فمن الطبيعى أن يكون المنتج عالى الجودة .

مجمل القول أن الصانع يتحلى بتركيز الانتباه ، وبالصبر والأناة، والاهتمام بأدق التفاصيل والأجزاء . فالاهتمام بطريقة العمل، إذن هو النتيجة المتوقعة والمعروفة. وكما تقول عقيدة زن Zen [٣] : فإن الأمر المهم هو الإعداد الجيد للسهم فى القوس، وعمل الحسابات اللازمة قبل أن ينطلق السهم نحو الهدف المصوب إليه . ينسحب هذا المبدأ على كل الأمور فى أنشطة اليابانيين : عند إعداد حفل شاى ، فى تنسيق

الزهور ، فى أنشطة البستنة ، وفى إنتاج السيارات ، إذ إن فهم «طريقة العمل» أكثر أهمية من الإنتاج «الأمثل» نفسه . وبمعنى آخر : فإن القوى الخلقية والمعنوية للطريقة - أعظم من القوى الكمية للمنتج . ولهذا ... فإن الطفل فى بواكير طفولته عليه - مثلا - أن يطوى الورقة «بمنتهى الدقة» والحرص كما طلب منه ، وعليه أن يقص الورقة «بمنتهى الدقة» متبعا الخط المرسوم له ، وعليه أن يضع حذاءه بطريقة معينة وفى المكان المحدد «بالضبط» ..

ترى المؤلفة ميرى هوايث : إن ما يرونه فى بلادها من أنه اجبارى ، تنافسى ، مثالى ، هو فى اليابان إرضاء حاجة الفرد لإنجاز عمل ما ، بخطوات دقيقة محسوبة . هذه الخطوات مرتبة ، وكل خطوة مبنية على سابقتها ، ومهمة فى حد ذاتها ، ولابد من إنجازها بإتقان ، فالطفل يشعر بالرضا والسرور عند إتمام كل خطوة فى العمل بنجاح ومهارة . ويعلق ما يكل كيرست Michael Kirst على ذلك بقوله : «يتعلم الأطفال اليابانيون أن كل تكرار لعملية ما يتضمن - دائما - شيئا جديدا ، ويتعلمون التمييز بين الاختلافات الدقيقة فى خطوات العمل عند تكرارها» ، ويواصل كيرست تعليقه بقوله : «إن هذا هو ما يساعد اليابانيين على تطوير وتحسين التكنولوجيا التى تنتجها دول أخرى» [٤] . وتضيف ميرى هوايت على ذلك قائلة : ولكن من وجهة نظرى .. فإن لهذه السمة اليابانية أهمية فى تنشئة الأطفال ، وتنمية قدراتهم العقلية أكبر من أهميتها للتنمية الاقتصادية .

وقد يرى النفسانيون الغربيون هذا السلوك اليابانى شديد الانضباط على أنه يخفى نزعات عدوانية مكبوتة ، وأن إرجاء الشعور بالرضا عند الغربيين حتى نهاية إنجاز عمل ما - لا يعطى الارتياح والسعادة التى يستشعرها الفرد عند الانتهاء من كل خطوة من خطوات العمل . وهذا يعنى أن الفرد يظل محبطا ومتوترا خلال أدائه خطوات العمل حتى يصل إلى المحصلة النهائية والتى أحيانا قد لاتتم . وقد تكلمنا

فى مكان سابق عن معنى الإبداع عند كل من اليابانى والغربى ، وأن الاختلاف بينهما واضح فى نظرة كل منهما إلى قيمة العمل المنتج وإلى خطوات انتاجه . ويكفى القول هنا إن التأكيد على مايهم البيت والمدرسة فى اليابان هو : التزام الطفل بالعمل الجاد فى جو مشبع بالحب والتعضيد ، ولا يهم ما حباه الله ، والطبيعة به من مواهب وقدرات . ولذلك ... فإن أهم وأعظم إسهام من جانب الأم ، والمعلم - وهو مستقبل الطفل - هو قدرة كل منهما على بث أهمية الانغماس فى العمل والارتباط به ، وهما قدوتان أمامه فى هذا الانغماس متمثلا فى الإيجابية ، والإخلاص ، والتفانى فى أداء العمل حتى يتم الإنجاز .

* * *

كثيرا مانسمع فى بلدنا هنا الاعتزاز بعبارة «صنع فى مصر» والأمر لن يتأتى هكذا دون تربية قويمة سليمة ابتداء من البيت ، ثم المدرسة ، ثم المجتمع . ونتساءل فى صراحة وإخلاص عن القدوة المتمثلة أمام الطفل ، وعن قيمة العمل ، وإتقانه ، والإخلاص فيه، والحرص على الجودة . وبعضنا يكتفى بما يذكره الدين ، وتبتعد المسافة بين القول والعمل . إذا قلنا إن التربية قوة ، وهى كذلك فعلا ، فأمامنا مثل صارخ يبدأ منذ بواكير الطفولة حتى يتعود طفلنا المصرى العربى على حسن أداء العمل ، وعلى معنى الانغماس فيه بكل جدية وإخلاص وإتقان ، ولا نكتفى بأن يحفظ الأطفال شعارات ، كالعمل حق وواجب ، وإنما يعملون فعلا مع آبائهم ومعلميهم، وكل خطوة لابد أن يكون لها أهميتها ، فالإهمال فى صغائر الخطوات لايؤدى إلا إلى سوء المحصلات . وكل صغيرة لها أهميتها ، وكل فرد له دوره وأهميته ... لابد أن نبدأ من البيت ، ولابد أن يكون للمدرسة دور إيجابى فعال . دنيا اليوم لاتكتفى فيها فقط بحسن النوايا ، ولكن أيضا بحسن الأفعال .

(٢-٦-٥) : الطفل فى مجموعة
(أهمية دور مؤسسات ماقبل المدرسة)

تعالوا معنا أيها القراء نتساءل فى بساطة: إذا كان الطفل اليابانى وهو على حجر أمه تزرع فيه هذه القيم التربوية عظيمة الشأن، فماذا تفعل مؤسسة ما قبل المدرسة ؟ ومن يذهب إليها ؟ ولماذا ؟ .

كتب ماسارو ايبوكا Masaru Ibuka مدير مؤسسة سونى الصناعية كتابا حقق توزيعا كبيرا ، عنوانه : «روضة الأطفال تأتى متأخرة»... قال فيه إن أنسب وقت يتعلم فيه الطفل بطريقة مخططة ، أى نظامية ، هو بواكير الطفولة . وكان من نتيجة ذلك أن يكرس الوالدان جهدا مركزا للتنمية المعرفية لطفلهما ، وتزايد عدد الأطفال الملتحقين بالحضانات (قبل رياض الأطفال) ، كما لم يضن أولياء الأمور فى شراء الألعاب التعليمية لأطفالهم .

وينادى ايبوكا مثله - مثل المعلمين وعلماء التربية - بضرورة بذل مزيد من الوقت والجهد للتربية المتكاملة للطفل ، وبدلا من ذلك .. فإن أولياء الأمور يهتمون بالتعليم المدرسى من قراءة ، وكتابة ، وحساب ، فهذا فى رأيهم إجراء مهم ، يؤدى إلى نجاح أبنائهم فيما بعد فى مراحل التعليم . وفى هذا الصدد نجد أولياء الأمور يعدون أنفسهم مع إعدادهم لأطفالهم، لاجتياز امتحانات القبول فى أكثر رياض الأطفال رقيا .

وفى دراسة حديثة .. سئلت أمهات الأطفال فى سن ما قبل المدرسة عن اتجاهاتهن عن «التربية قبل المدرسة» من حيث : تنشئة أبنائهن وتعلمهم فى مؤسسات معدة لذلك. أجابت الأمهات بأن عملية النمو والتنشئة تتأثر بالبيئة ، وأن صفات الطفل لا يولد بها . وأن مؤسسات ما قبل المدرسة يجب أن توفر بيئة آمنة لنمو الطفل الجسمى ، وأنه لايجب التركيز على التحصيل المعرفى ، بل يجب التأكيد على التطبيع الاجتماعى، وأن يقل الاهتمام بإعداد الطفل للمدرسة الابتدائية .

أما عن صفات المعلمة التى يفضلنها لأطفالهن فكانت الحنو والحرص فى الرعاية، ويأتى بعدها الصبر والحيوية . وأخيرا والأقل أهمية : صفات الحزم والشدة والمعرفة العلمية [٥] .

وتقول إحصاءات وزارة التربية والتعليم : إنه فى عام ١٩٧٩ التحق ٦٥٪ من أطفال سن الخامسة ، و ٥٠٪ من أطفال سن الرابعة ، و ٥ر٧٪ من أطفال سن الثالثة بدور الحضانة ورياض الأطفال ، ونصف هذه النسب بدور إيواء نهارية ، بمعنى : أن كل الأطفال تقريبا فى سن الخامسة كانوا ملتحقين بمؤسسات خارج البيت . ويذكر أيضا أن ٨ر٦٣٪ من مجموع الأطفال - فى سن الثالثة والرابعة والخامسة - كانوا ملتحقين بمؤسسات تسبق المدرسة الإبتدائية . وقد تضاعف عدد هذه المؤسسات من سنه ١٩٦٥ إلى ١٩٧٩ إذ بلغ عددها ١٥٠٠٠ دارا دخلها حوالى ٥ر٢ مليون طفل منهم ٧٤٪ فى مؤسسات غير حكومية تدفع فيها مصاريف باهظة [٦] .

ونظرا لانتشار دور ما قبل المدرسة فى اليابان .. فقد تزايد نفوذها وتأثيرها بما تقدمه من بيئة ومناخ تربوى . وتصف ميرى هوايت بيئة هذه الدور فتقول : إنها مثل البيئة المنزلية ، وأن ٩٦٪ ممن يقومون على تربية الأطفال من الإناث ، وكلما صغر سن الطفل تعهدته أنثى وليس رجلا . أما الجو العام فى الدار فتصفه كاثرين لويس وآخرون Catherine Lewis [٧] بأنه مشبع بالدفء والعطف ، وبعيد عن الأكاديمية المدرسية ، ويتمحور حول اللعب . ويؤكد غالبية المعلمين والمعلمات على الجوانب الاجتماعية والسلوكية ، بالرغم من رغبة أولياء الأمور فى الاهتمام الأكثر بالجوانب المعرفية . كما يشيع تشجيع الأطفال على الاعتماد على أنفسهم فى قضاء حوائجهم كلما أمكن ذلك .

وفى رأى لويس أن المعلم اليابانى يفترض فى تلاميذه فى مراحل التعليم المختلفة حسن الطوية ، وأن هذا الافتراض يحكم طريقة إدارته للفصل ومعاملته

للتلاميذ . أما السلوك غير المرغوب فيه ، فينتج عن سوء فهم من جانب التلاميذ وليس عن سوء نيتهم . وفى كل الأحوال .. يستجيب التلاميذ طواعية لرغبات المعلم، ونادرا ما يحدث عصيان ، أو خضوع بالإكراه للمعلم . وغالبا ما ينغمس التلاميذ فى حماس وإخلاص فيما يقومون به من عمل ، ويمضون أوقاتا طويلة فى تركيز مع تدخل بسيط من جانب المعلم . ويبلغ انهماك تلميذ فى العمل حدا يجعل وجود مجموعة التلاميذ الموجودين حوله أمرا غير مرغوب فيه ، أو قد يضايقهم هم أنفسهم انهماك فرد منهم فى العمل بمفرده .

وكما ذكرنا سابقا .. فإن المسئولين فى دور الحضانة ورياض الأطفال لا يشجعون ما تقوم به الأم فى محاولة تنمية الجانب المعرفى لدى الأطفال . وكما لاحظ تيانوش Taniuchi أن المدارس تفضل اعتبار عقل الطفل صفحة بيضاء ، وأنه يمكن تدريبه على مهارات وسلوك ، ترى المدارس أنها تناسب بيئة تعليمية معينة . والمعلمة مثل الأم، تحس أن الطفل يمكن تطويعه وتشكيله حسبما تريد فليست له صفات ومهارات مسبقة.

وتحس المؤسسات التعليمية أن الطفل يأتيها وفيه مرونة وقابلية للتشكيل ، لايحمل معه مهارات اكتسبها ، أو اتجاهات نفسية كونها . ولهذا فعند التحاق خريج الجامعة للعمل بمصرف (بنك) ما يتحتم عليه أن يخضع لتدريب خاص يؤهله لهذا العمل الجديد ، وكأنه لم يعد لذلك العمل سلفا [٩] . فالمصرف كأى شركة يابانية ، يفضل تشغيل المؤهلين تأهيلا عاما عن المتخصصين . ومعنى هذا ... أن التحاق موظف بمهنة أخرى غير التى يعمل بها ، يحتم عليه أن يبدأ تدريبا جديدا من الصفر، حتى يتأقلم مع طبيعة العمل الجديد ومن يعملون فيه . وهذا ما يحدث على مستوى الحياة الخاصة ، فإن العروس عند انتقالها إلى بيت عائلة زوجها .. عليها أن تبدأ التدريب على عادات وسلوك هذه البيئة الجديدة عليها ، فلكل بيت طابعه المتفرد ، فمثلا : لكل جدة طريقتها فى عمل المخللات ، ولكل أسرة طقوسها ونظام حياتها

اليومية . وبالمثل .. فإن المدرسة بالنسبة للطفل أسرة جديدة ، فهو وإن كان حقا فى القلب ، ولكن للمدرسة طابعها وتوقعاتها إنها عالم جديد بالنسبة له .

ماذا يتعلم هذا الوافد فى عالمه الجديد ؟ وبصفة عامة .. فإن الأمر فى رياض الأطفال ، والسنوات الأولى فى المدرسة الإبتدائية لايختلف جذريا عما عهده من قيم فى البيت . ولكن السياق مختلف جدا ، فقد كانت الأم كلها للطفل ، أما فى هذه البيئة الجديدة .. فإنه واحد من كثيرين ، وإن كان الاهتمام موجودا .

وبذلك يكون الدرس الأول الذى يتعلمه الطفل هو أن غيره أيضا لهم نفس الاهتمام. ونفس الموقف يحدث فى المدارس الأمريكية ، ولكن فى اليابان تصل الرسالة إلى الأعماق أكثر. لذلك ... فإن الطفل اليابانى يتعلم أن لغيره من الأطفال اهتماماتهم ورغباتهم أيضا ، وعليه أن يحس بهم ويقدر مشاعرهم ، وأنه يكافىء لهذا الإحساس. وبمعنى آخر .. فإن الأمر يتجاوز انسجام الطفل مع غيره ، إلى إحساسه بأن هذا السلام والوئام مع غيره قيمة منشودة فى حد ذاتها .

أما الدرس الثانى الذى يتعلمه الطفل اليابانى ... أن هناك طريقا سليما معينا لأداء عمل ما ، وإن معرفة هذا الطريق يستأهل ما يبذله من جهد ، ووقت للإحاطة به. وتدريجيا ، وببطء .. يشجع الأطفال على الاستماع والتركيز ، كخطوة أولى نحو تعلم أداء الأعمال بطريقة سليمة . وبالمثل .. فإن عادات المدرسة تنساب إلى الأطفال بهدوء (وهذا ما نريده) مع توجيه الانتباه إلى ما يريده المعلمون .

ولا يعتبر المسئولون عن دور الحضانة أن مؤسستهم هى الخطوة الأولى ، أو أول درجات السلم المؤهل لدخول امتحانات القبول فى الجامعات ، وإنما هى المكان الذى يتكامل فيه الطفل مع مجموعة أطفال ، ويستشعر الحساسية الوجدانية نحو غيره، ويعرف الطريق السليم لأداء عمل ما ... هذه هى الدروس المهمة ، وهذا هو ما تريد هذه المؤسسة أن تعلمه لأطفالها. ومن أهداف دور الحضانة والرياض: تنشئة أطفال

مشبعين بالحساسية نحو الآخرين ، وبالمهارات اليدوية ، وبالسلامة الجسمية ، وبالتعاطف مع الأصدقاء ، ولديهم القدرة على الاستجابة الطيبة للمواقف والبيئات المختلفة .

وفى إحدى الروضات .. ارتأى الأطفال التعامل مع الأرانب ، وكان عليهم أن يبنوا حظيرة للأرانب كجزء من مشروع جماعى تخيرونه. وتبدأ قصة هذا التعامل مع الأرانب عندما زاروا حديقة حيوانات ، ليشاهدوا الأرانب فى حظائرها وليراقبوا سلوكها. وعند عودتهم رسموا على الورق ما شاهدوه ، ثم صنعوا نماذج صغيرة للحظائر، ثم أقاموها فعلا . وترى المعلمة أن هناك قيمة كبيرة يكونها الأفراد فى ثقتهم بجدوى العمل التعاونى .

ويؤمن المدرسون اليابانيون إيمانا قويا ينعكس فى تصرفاتهم أن : «حياة الجماعة» داخل الفصل هى نتاج طبيعى لما يسفر عنه لعبهم ، وما يكونونه من صداقات فيما بينهم، لذلك فهم يقولون كما جاء على لسان كاثرين لويس Catherine Lewis - وتانوش بيك Taniuchi Peak [١٠] أن الأطفال الذين لايشعرون أن الأنشطة الجماعية أمتع وألذ من الأنشطة الفردية ، هم أطفال يفتقدون سعادة اللعب الجماعى ، التى تنمو مع ممارستهم لهذا النشاط الجماعى .

وتأخذنا المؤلفة إلى الأمهات الأمريكيات متسائلة : ماذا يردن من رياض الأطفال ؟ عادة يتوقعن زيادة فى الحصيلة المعرفية لأطفالهن ، أو ليتحررن من أطفالهن بعض الوقت ، أو الهدفين معا . أما عند الأمهات اليابانيات .. فينتفى - صراحة - ذكر أى من هذين الهدفين . والسؤال هنا : لماذا إذن يرسلن أطفالهن لمؤسسات ما قبل المدرسة ؟ قد تبدو الإجابة غريبة .. فإن ذهاب بعض الأطفال إلى تلك المؤسسات - على الرغم من أنها لاتقدم تعليما أكاديميا - هو فى وهم كثيرات من الأمهات بداية الطريق للسباق الرهيب للدخول فيما بعد إلى الجامعة .

وقد أظهرت نتائج دراسة مسحية حديثة - أن رياض الأطفال ، حتى الخاصة منها والتى يعتقد أنها تقدم برامج أكاديمية متقدمة لا تهتم كثيرا بتنمية الجوانب المعرفية . وفى الحقيقة .. فإن ١٣٪ فقط من رياض الأطفال المتميزة تساعد الملتحقين بها على التعرف على أشكال بعض الحروف الأبجدية اليابانية ، وأن ٨٪ فقط من تلك الرياض تعلم الأرقام . أما رياض الأطفال العامة .. فلا تقدم نهائيا أى تدريب للأطفال على القراءة والحساب . ويقول المعلمون إنهم يفضلون إثارة ميول الأطفال للقراءة والحساب ، ولكنهم لايحبون أن يعلموها لهم . وهم فعلا لايفعلون .

ونحن نرى أن ما يدور فى رياض الأطفال فى مصر - إذا قورن بالموقف فى اليابان - أمر يستدعى بالضرورة وقفة ، فهناك مبالغة عندنا وعندهم . والسؤال الذى يتبادر إلينا : ما دور أولياء الأمور فى هذه المبالغة ، وكأنما الأمر عندنا (فى مصر) لهفة متسرعة لتعليم الطفل أكاديميا ، بل وبلغة أجنبية ... ما هذا الذى يجرى ؟ وما الهدف منه ؟ ولمصلحة من ؟ أهكذا نطيع بنتائج البحوث العلمية والتربوية خاضعين لرغبات بعض أولياء الأمور ؟ .

إننا نريد وقفة جادة وحاسمة تكون الكلمة العليا فيها للتربية وأبحاثها .

عود إلى اليابان ... تذكر المؤلفة أن هناك جوكو Juku لرياض الأطفال تمدهم فى صراحة وعلانية ، بمهارات أكاديمية ، حتى يجتازوا اختبارات القبول فى رياض الأطفال الخاصة ، وكذلك القبول فى مدارس ابتدائية خاصة ، حيث لا ينتظم بها إلا عدد محدود من أطفال الأحياء الراقية فى المدن الكبيرة .

ومن الملاحظ أيضا أن معظم أطفال الرياض فى المدن الكبيرة يتلقون دروسا خاصة إلى جانب البرامج المعتادة فى رياض الأطفال ، ولكن هذه الدروس الخصوصية لاصلة لها بالجوانب الأكاديمية ، وإنما تتمشى مع بعض الرغبات الشائعة فى المجتمع ، مثل : دروس فى الموسيقى ، أو الرسم ، أو السباحة ، أو اللغة الإنجليزية . وفى جميع الأحوال : فإن الهدف الرئيسى من هذه الدروس هو إثراء الخبرة التربوية للأطفال .

ينظم الجدول اليومى فى بعض أنواع رياض الأطفال ، والتى يطلق عليها اسم «مراكز الرعاية النهارية» ، ليتناسب وظروف الأمهات العاملات . ومع ذلك .. فإن بعض الأمهات غير العاملات يحرصن على إرسال أطفالهن إلى هذه المراكز ، ولكن إدارات هذه المراكز تعطى الأولوية (فى حالة اشتداد الأقبال) لأبناء الأمهات العاملات . وحجة الأمهات غير العاملات فى حرصهن على إلحاق أطفالهن بهذه المراكز قولهن : إن هدفهن تدريب أطفالهن على الاعتماد على الذات أكثر من التحصيل الدراسى وهو ما يتوفر فى هذه المراكز . وبالمثل .. فإن بعض الأمهات العاملات يفضلن دور الحضانة ورياض الأطفال مع تحملهن ضغوطا لمواءمة مواعيدهن وظروف عملهن ، وذلك بحجة أن فى هذا تميزا اجتماعيا لهن .

وفى كل الأحوال .. فإن من عادة اليابانيين الاعتقاد بأن التدريب الاجتماعى خير له أن يتم فى بيئة يعيش فيها الطفل بعض الوقت بعيدا عن منزل الأسرة ، حيث يتعرض لظروف ومواقف مغايرة لما اعتاده بين أهله من علاقات فيها التسامح وتحمل هفواته والرضوخ لرغباته ، وأمور كلها تنبع من شدة التعلق بين الأهل والطفل ، الطفل والأهل . كما أنهم يعتقدون أن تعلم وممارسة الطفل بعض المهارات اليدوية قد لايتأتى فى بيئته المنزلية ، وإنما (ربما) يتوافر فى بيئة منزلية أخرى ورثت من أجيال سابقة مهارات معينة . وهنا .. تكون الفرصة السانحة لتعلم المهارة اليدوية من خلال ممارستها وسط من يتقنونها .

لذلك .. فإن هناك تكاملا بين التعلم الناتج فى البيئة المنزلية ، وبين ما ينتج من بيئة أخرى - قد تكون مدرسية ، أو غير مدرسية - ولا تعارض بين هذه وتلك . وحتى تتضح الأمور لنا أكثر .. تعالوا معنا لمتابعة يوم فى حياة طفل يابانى عمره ثلاث سنوات .

(٢-٦-٦) : يوم فى حياة كينيشى «Kenichi»

كينيشى طفل فى الثالثة يعيش مع والديه ، وأخته الرضيعة فى مدينة صغيرة قرب أوساكا . يعمل والده فى وظيفة إدارية ليست عالية مع إحدى شركات الإلكترونيات ، وهو متخرج فى جامعة أوساكا ، أما والدته .. فقد تخرجت من إحدى الكليات المتوسطة ولكنها لاتعمل ، وتبلغ أخته عشرة أشهر من العمر . وتسكن هذه العائلة الصغيرة إحدى الشقق فى مجمع ، مكون من عمارات ، بين كل واحدة والأخرى ملعب صغير يلعب فيه الأطفال . أما الشقة .. فتتكون من حجرتين للنوم تتحول أحداهما إلى حجرة معيشة أثناء النهار ، ومطبخ كبير به مكان لتناول الطعام ، بالإضافة إلى الحمام ودورة مياه . تنام الطفلة الصغيرة مع والديها ، أما الحجرة الثانية فهى أيضا متعددة الأغراض وفيها ينام كينيشى فى سريره الخاص . وقد فرشت أرضية حجرة كينيشى بالسجاد على الطراز الغربى ، وكذلك طراز سريره ، وتتناثر لعبه فى هذه الغرفة وخارجها ، ويحدث كثيرا أن تحرك الأم سريرها وطفلتها إلى حجرة كينيشى عندما يكون الزوج متعبا ، أو فى حاجة إلى الراحة .

وتقع هذه الشقة فى الدور الخامس فى عمارة يسكنها بعض زملاء الزوج فى العمل ، والأمر المعهود أن زوجات الزملاء لسن بالضرورة صديقات ، ولا تحدث بينهن زيارات ولكن قد يتقابلن صدفة أحيانا عند خروجهن للسوق ، أو مصاحبتهن لصغارهن فى اللهو واللعب .

والوصول إلى وسط المدينة - حيث المحلات الكبيرة - سهل ، فالأوتوبيسات ميسرة وإن كانت حول العمارة السكنية محلات صغيرة للضروريات اليومية . وتتمنى أسرة كينيشى أن تملك - يوما ما - منزلا مستقلا - وفى سبيل تحقيق هذا الأمل .. يقتصد الوالدان من مرتب الزوج ومما يحصل عليه من حوافز نصف سنوية ، وإن كانت الأسرة تعلم أن نفقات الدراسة للأبناء فى المستقبل ستلتهم جزءا كبيرا من المدخرات .

يبدأ يوم كينيشى ببكاء أخته الرضيعة جائعة ، فتطعمها أمها وتغير لها ملابسها ، أما كينيشى.. فهو يتقلب فى سريره متكاسلا ، ثم يقوم جالسا . هذا يوم ربيع فى أوائل شهر مارس ، وعليه أن يذهب فى صحبة أمه واخته لزيارة دار الحضانة التى سيلتحق بها فى أول ابريل ، حيث تبدأ المدارس بعد انتهاء العام الدراسى فى آخر مارس من كل عام . هذه زيارة تمهيدية فى صحبة الأم لهذا المكان الجديد الذى سيذهب إليه بعد أيام ، لكنه غير متأكد من هذا التغيير ، وكل ما يحس به أنه قد كبر . ما يحدث هذا اليوم يشعره بأنها مجرد زيارة ، ثم يعود مع أمه وأخته ، وقد وعدته أمه أن تعود به وألا تتركه هناك.. مجموعة إحساسات وانفعالات فيها الدهشة والخوف والفرح.

وقبل أن يخرج إلى هذه الزيارة .. أعدت له أمه ، ولزوجها طعام الأفطار التهمه الوالد ، أما كينيشى فكان يداعب أوانى الطعام ، وكوب اللبن دون أن يأكل ، أو يشرب ، فقد تملكته انفعالاته وأفقدته شهيته . ولكن الأم لم يرضها هذا العزوف عن الطعام ، فحايلته بإضافة بعض مسحوق الشيكولاته إلى اللبن. وتقوم الأم لأداء أعمالها ، تاركة كينيشى يتابع الرسوم المتحركة على شاشة التليفزيون . يتم كل هذا ، والأب ينهى إفطاره ، ويستعد للخروج إلى يوم عمل طويل ، دون اهتمام بالإجراءات اليومية التى تقوم بها زوجته . وقبل أن يغادر الشقة التفت إلى ابنه ، وهو يقول له : إنه يجب أن يفخر الآن ، لأنه قد كبر ولم يعد طفلا ، وأنه يأمل أن يكون ولدا طيبا حسن السلوك.

وليأذن لنا القارىء العربى الكريم ، إذ سنحول كلام المؤلفة فى فقراتها التالية إلى سيناريو سينمائى فى بساطة :

نهار - خارجى

واجهة مبنى من طابق واحد يتوسط حديقة ، الشمس ساطعة ، والموسيقى خفيفة مصاحبة (لم نشأ تخصيص نصف الصفحة للصورة ، والنصف المقابل للصوت والحوار كما جرت العادة فى كتابة السيناريو) .

(قطع)

نهار - خارجى

طريق غير متسع ، به مارة وسيارتان بجوار الرصيف الأيمن .

(قطع)

الأم كيكو تتقدم ومعها كينيشى ممسكا بيدها ، حتى تتجاوز خط الكاميرا ، وتظهر ابنتها الطفلة محمولة على ظهرها على الطريقة اليابانية ، مع استمرار الموسيقى.

الكاميرا تتبع الأم، وطفليها فى لقطة عامة، وهم يدخلون من باب دار الحضانة.

مزج مع أطفال يلهون فى حجرة كبيرة .

(قطع)

الأم تدخل القاعة .

(قطع)

لقطة مكبرة لوجه كينيشى مملوء بالاستغراب الخائف .

(قطع)

يد الطفل ممسكة فى لقطة مكبرة (close) بيد الأم ، ثم تتسع الزاوية لتمسك اليد برداء الأم .

(قطع)

وجه الأم يتطلع حواليه ، ثم تنحنى الرأس إلى يد الطفل - فى لقطة متوسطة- وهو يحاول جذب ثوبها بما يعنى رغبته فى الخروج .

يد الأم فوق رأس الطفل كينيشى ، وعلى ظهره كأنما تعمل على تهدئته ، مازالت الموسيقى مستمرة ، ولكنها ممتزجة مع أصوات الأطفال . تمتزج الموسيقى مع أصوات الأطفال ، عندما تنتقل الكاميرا فى حركة بانورامية تستعرض الأطفال .

الأطفال يلعبون ويجذبون بعضهم بعضا فى غير نظام ، البعض يبكى ، والبعض على الأرض على بطنه يخبط بقدميه ، وبعض الأطفال هادئون يبتسمون . فى كل لقطة توجد الأمهات وعيونهن على أطفالهن ، وبعضهن يقدم لهم قطعا من الحلوى (مع استمرار أصوات ضجيج الأطفال)

(قطع)

إلى باب القاعة - فى لقطة عامة - وتتقدم الناظرة ، ومعها مساعدتان من المعلمات . (صمت بدون صوت) .

تتوقف الناظرة والمساعدتان بعد دخولهن القاعة .

(قطع) كينيشى فى لقطة متوسطة ، والكاميرا تتبعه وهو يترك يد أمه ويتجه إلى طفل قريب ، يضرب - فى ثورة غضب - ساق أمه . أم كينيشى تبعده عن الطفل الغاضب

لقطة عامة للقاعدة ، وفيها الأطفال والأمهات ، وهن ينظرن نحو الباب ، حيث وقفت الناظرة والمساعدتان .

(قطع)

وجه الناظرة مبتسمة - تصمت الموسيقى ، وتتكلم الناظرة . ونعود الآن إلى كلام المؤلفة ، وهى تلخص ما قالته الناظرة وهى تستقبل الأمهات مع الأطفال :

رحبت الناظرة بالحضور ولم تلق اهتماما لشغب الأطفال . تكسو الابتسامة دائما وجهها ، وهى تتحدث عن الأوقات السعيدة المنتظرة ، وعن حب المعلمات للأطفال، ثم توجه حديثها - بشىء من الجدية - للأمهات طالبة منهن العمل على إعداد أطفالهن لهذه الخبرة الجديدة ، وتؤكد عليهن ضرورة حرص أطفالهن على السلامة وهم يسيرون ويعبرون الطرقات ، وأن هدف الحضانة توفير خبرة سارة جميلة تعتمد على التعاون فى العمل الجماعى، وما تقدمه الدار من فرص مشاركة الأطفال فى اللعب واللهو .

وتؤكد الناظرة على نقطة مهمة وهى : ألا يتوقع أولياء الأمور من دار الحضانة أن تكون أول خطوة نحو التحاق أطفالهم فى المستقبل بجامعة مرموقة ، وتذكرهم بأن الأطفال عندما يأتون إلى الدار فى هذا السن المبكر .. فإنهم يحتاجون إلى المساعدة ، والمساندة والتشجيع بدلا من الضغوط الملحة المرتبطة بالمستقبل ، وتأمل أن يتعاون أولياء الأمور مع معلمات وإدارة الدار فى تهيئة بيئة هادئة مرحة من أجل سعادة الأطفال .

إلى الآن ... فمعظم الأطفال ملتصقون بأمهاتهم ، والبعض ما زالت تعتريه نوبات الغضب والصياح من وقت لآخر . ثم تتقدم الناظرة ، والمساعدتان ويطلبن من الأطفال الجلوس فى دائرة كبيرة ، بعض الأمهات يجلسن خلف أطفالهن لتشجيعهم على المشاركة . ولكثير من الأطفال .. تعتبر هذه أول مرة يشاركون فى عمل جماعى منظم مع أطفال آخرين ، ربما شاركوا قبل ذلك فى اللعب مع أطفال آخرين فى الحدائق الموجودة بين العمارات السكنية دون تنظيم ، وربما كان اشتراكهم لمجرد الفرجة دون الانتظام فى اللعب .

بدأت الناظرة فى تقديم المعلمتين المبتسمتين للأطفال ، وبدأت المعلمتان لعبة تصفيق بالأيدى ، وطلبتا من الأطفال ترديد أغنية خفيفة معهما . ومع هذا الغناء تقل تدريجيا أصوات الصراخ، حتى ينصهر الأطفال جميعهم فى ترديد الأغنية والتصفيق.

وبعد أن زالت المخاوف والتشكك .. تأخذ المعلمتان بأيدى بعض الأطفال ويتبعهم الآخرون ، حيث يتعرفون على جوانب المبنى ، ويشاهدون مختلف اللعب ، ودورات المياه والحجرات المختلفة مع حديث متواصل عن الأنشطة المختلفة التى سيشتركون فيها خلال الأسابيع القادمة .

بعد الجولة .. وزعت المعلمتان على الأطفال أكوابا من عصير الفاكهة ، وبعض البسكوت ، وخلال تناول الأطفال الطعام .. بدأت الأمهات يتبادلن الحوار ويشعرون بالألفة.

بعد ذلك .. جاء وقت الخروج من الدار ، وللعجب !! فإن كثيرين من الأطفال حاولوا استبقاء أمهاتهن لمزيد من الوقت فى هذا المكان الذى أصبح عامل جذب ، والذين صرخوا فى الصباح صرخوا أيضا عند موعد المغادرة رافضين الانصراف .

احتفلت الأم كيكو بهذا اليوم ، وهى فى طريق العودة إلى البيت ، فدخلت مع طفليها محلا للآيس كريم . وبعد التهام الآيس كريم .. اتجه الثلاثة إلى حديقة عامة ، والأم كينيشى فى حالة من المتعة والارتياح ، أما الصغيرة التى على الظهر فوضعت لتلعب فى حوض رمل أعد خصيصا لمثل سنها . وكأنما تقول الأم لنفسها ولطفلها إنها سعيدة لأنه أحب المدرسة ، وأحب المعلمتين والناظرة . ولكنها مع ذلك تريده أن يعرف أنها الأم التى تحبه وتعطيه الحلوى ، وتأخذه إلى المنتزه وتمسك يدها وثوبها ، وتحميه ، وتطعمه .إلخ .. فهى التى كانت معه دائما وسوف تكون ... فهى أمه .

قابل كينيشى فى طريق عودته - من الحديقة إلى البيت - طفلا يكبره فى السن قليلا ، وفى زهو الفخر قال كينيشى له : «إنه ذهب اليوم للمدرسة» ، وفى تعالى العارف رد عليه الطفل الأكبر سنا قائلا : «إنك زرت دار حضانة وهذه ليست مدرسة حقيقية» . وكأنما نزل هذا الكلام على حماس كينيشى كدش بارد ، أطفأ جذوة الفرحة فتعلق بيد أمه يريدها أن تحمله ، ولكنها سحبته من يده إلى البيت .

وفى البيت .. أطعمت الأم طفلتها وأرقدتها لتنام ، ثم جلست إلى كينيشى تقرأ له قصة فى كتاب مصور حتى استسلم للكرى فنام بدوره ، واتجهت الأم لتعد الطعام .

غفوة .. كأنما يبدأ الفصل الثانى من فصول هذا اليوم ، وقد صحت الطفلة وصحا كينيشى ، واستعدت الأم وأعدتهما ، وخرجوا لشراء بعض الحاجيات ثم جلسوا فى الحديقة المجاورة قبل العودة ثانيا إلى البيت .

فى اليوم التالى - وعلى مائدة الأفطار - سأل الأب ابنه عما دار بالأمس ، وكأنما كان كينيشى ينتظر هذا السؤال ، فاندفع يقص بكل الفخر قصة طويلة تحكى تفاصيل الستين دقيقة التى قضاها فى دار الحضانة ، مشيرا بتركيز إلى سلوك غيره من الأطفال الذين كانوا يبكون ويصرخون .

وترى المؤلفة ميرى هوايت ضرورة الوقوف عند بعض النقاط المهمة :

أولا : الوجود المستمر للأم فى حياة الطفل فهى التى أخذته إلى المدرسة ، وهى التى كانت معه طوال الوقت ، وهى التى شاركته هذه الخبرة . أما الأب فنادرا ما يراه الطفل إلا أيام الآحاد ، وكل أحد هو يوم العائلة ، إذ قد يضطر الأب إلى العودة من عمله إلى البيت بعد أن يكون الأطفال قد ناموا . وقد ظهر كتاب مترجم حديثا بعنوان (صديق يوم الأحد) يتناول العلاقة بين الأب ، والطفل فى الأسرة اليابانية . وتخرج الأسرة - عادة - يوم الأحد إلى حديقة عامة ، أو للتسوق من المتاجر الكبيرة وسط البلد ، أو حتى لمتعة المشاهدة . يحدث هذا إذا لم يكن الوالد فى حالة الإرهاق والتعب التى تبقيه فى البيت ، أو يضطر للذهاب لكى يلعب الجولف مع أحد العملاء، أو أحد رؤسائه .

ثانيا : عزلة الأم كيكو وطفليها .. فبالرغم من أنها تسكن فى عمارة كبيرة ، إلا أنها لا تختلط بالجيران ، ولا ترتبط بصداقات مع زوجات زملاء زوجها فى العمل... قد تتعرف أحيانا - فى الحديقة بين العمارات - على بعض الأمهات وتنتهى العلاقة عند هذا الحد . حتى الأطفال لايسمح لهم بتبادل الزيارات مع الأطفال الآخرين فى نفس العمارة سواء بمفردهم ، أم مع أمهاتهم .

أما عن معارف كيكو .. فهم قلة محدودة مثل : بائعة السمك ، وبائعة الخضروات، ولكنها كثيرة الحديث بالتليفون مع أختها ، وأمها وبعض صديقاتها منذ أيام الدراسة ممن يسكنّ مدينة أوساكا . أما عملها الأساسى اليومى .. فينحصر فى الاهتمام بطفليها.

ثالثا : التنبؤ بأحداث اليوم ، بمعنى أن الأم تعلم ما سيحدث خلال اليوم وما فيه من أعمال نمطية. فبينما لا تضع الأم كيكو جدولا صارما لأعمالها اليومية ، فأعمالها منظمة بطريقة روتينية ، وهى تدرك المساحة الجغرافية والأمكنة التى تتحرك فى حدودها ، وهى بالتالى تعرف ما سيتعرض له طفلها من مثيرات ، وهذا عكس الحال عند الأم الأمريكية .

حتى عندما زارت كيكو ، وطفلاها دار الحضانة .. كانت الرسائل التى تلقوها من إدارة الدار قصيرة ومؤثرة ، ولم تستغرق الزيارة بكل أحداثها أكثر من ساعة زمن، كانت كافية لإثارة شهوة الصغير لهذا العالم المجهول لديه . يشابه هذا الموقف طريقة سوزوكى Suzuki فى تعلم الطفل العزف على آلة الفيولين (الكمان) [١١] ، فهو يبدأ مشاهدا وملاحظا ومستمعا إلى غيره يعزفون وتبدأ أصابعه تتحرك فى الهواء ، وحتى الآلة لايسمح له بمسكها ، وتزداد شهيته ورغبته ، وهنا يعطى الآلة لفترة دقائق قليلة ثم تؤخذ منه ، وهو يتحرق شوقا إليها وإلى مزيد من تعلم العزف عليها .

وأخيرا .. فإن ما يلفت الانتباه هذا الاتجاه الايجابى فى التعامل والتفاعل مع الأطفال ، فلا تهديدات من الكبار (أمهات ومعلمات) إلا نادرا ، والتحذيرات قليلة جدا ، ولا تستخدم الأوامر مباشرة ... فعندما بكى الأطفال وهم يزورون دار الحضانة وأصابتهم نوبات غضبية ، ابتسمت الناظرة ، ناظرة إليهم وهى تعدهم بيوم باسم بهيج ، بينما ربتت الأمهات على أطفالهن فى تدفق الابتسامات والحب والحنان . كما تندر العقوبات البدنية ، وإن كانت نظرات الأمهات فيها تأنيب وعتاب ، ومن ثم ينساب الطفل تدريجيا إلى حسن الاستجابة والعمل المرغوب بدافع ذاتى .

ينبع هذا السلوك من عقيدة دينية قديمة ، ولكنها مازالت فاعلة ومؤثرة ، فمذهب زن Zen - بأصوله التى بدأت فى الهند ، ثم الصين وانتقلت إلى اليابان - له أنصاره بكثرة فيها ، كما له أتباع فى كاليفورنيا ، والساحل الشرقى فى الولايات المتحدة الأمريكية . تتبع طريقة زن فى تدريب السلوك ، فيما يطلق عليه الأمريكيون حديثا مدرسة «تشكيل أو تعديل السلوك» ... فيحكى أن أحد رهبان مذهب زن استطاع السيطرة على منع طائر واقف على ذراعه من الطيران ، وذلك بتركه وشأنه وعدم مقاومته كلما حاول الطيران، فلا يشعر الطائر بأى تهديد ، أو خوف ... فلا يطير . وبالمثل .. فإن الطفل طائر على ذراع المعلمة إذا استشعر الأمان والحنان ، فإنه لايثور ، كذلك الأم مع وليدها الصغير يسعد وتسعد وهو فى أحضانها الحانية ، فيطمئن ويمتزج معها فقد أمنته وكفته نفسيا وغذائيا ، ولم تغضب منه ولاأحس بثورة منها عليه .. وبهذا تنمو العلاقة بينهما نحو التوحد والتقارب ، لا نحو الفرقة والتباعد.

* * *

لقد تعرضنا فى كتابنا (تربية الطفل قبل المدرسة - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٨٣) - فى الفصل الثانى - فيما أطلقنا عليه «تربية الأعماق» .. تعرضنا إلى ضرورة الاهتمام بالجوانب الخلقية والقيم الدينية منذ بواكير الطفولة ، وضرورة أن يغلف العمل المدرسى كله بهذه القيم المستمدة من الدين ... فنقول : إننا نرى أن المسألة فى أساسها ترتبط بتربية الأعماق من أجل الأخلاق ، كهذا الجيش المقاتل يرسل طائراته لنسف خطوط العدو ومراكز تموينه فى العمق ، مما يربك كل جبهته المقاتلة فلا تجد ما يجعلها قادرة على التصدى للهجوم . إن سلامة الأعماق تجعل إمدادات التموين والأسلحة مستمرة فى تدفق . كما أن الأمن الداخلى يوجه كل الطاقات لمواجهة العدو أو الأعداء من الخارج .

إن فساد الأعماق أو التخلخل الخلقى الداخلى .. لايؤدى إلا إلى السلبية والضياع والانهيار .

تربية الأعماق .. تعنى الأصالة فى الجذور التى تنبت منها الأقوال والأعمال ، ومن طبيعتها - إذا نمت - أن تزداد تأصلا وتمكنا مع سنى عمر الفرد . وهى تبدأ فى الطفولة بالأعمال لا بحفظ الأقوال والشعارات ، وتتم الأعمال تحت الملاحظة الدقيقة الواعية من الراشدين لسلوك الأطفال .

إن بذور العلقم والحنظل لاتثمر الحلو الشهى .

تربية الأعماق ترى أن الإنسان أجل وأعظم من كونه كائنا بشريا ، وأن الله - عز وجل - قد وهبه الإمكانات التى تجعله قادرا على أن يحيا على الأرض حياة تسعده وتسعد غيره ، لا مجرد أن يعيش عليها محققا لنفسه لذات وشهوات ، ناسيا أنه واحد وسط مجموعة ، وعليه أن يعمل لغيره ربما قبل أن يعمل لنفسه .

تربية الأعماق هى الأساس الوطيد للسلوك الخيّر فى المجتمع ، وهى الشرارة الأساسية لتقدم أى مجتمع ، وبدونها لايمكن أن يحدث تقدم ، حتى لو ملك هذا المجتمع كنوز الأرض ، واستحوذ على ما فوقها وما فى باطنها ، لأنه لن يحسن التصرف فيما يملك ، إذ يتصاعد من داخله دخان السفه الأسود يطمس عقله ، حاجبا التفكير السليم .

تربية الأعماق تؤدى بالضرورة إلى تفكير خلقى وعلمى سليمين ، ذلك لأنها بالضرورة ترفع الإنسان من هوة الأنانية ، والأثرة ، وحب الذات إلى جنة الغيرية وحب الآخرين ، والعمل للجميع . ذلك لأن الفرد الإنسان عندما يفكر فى غيره يتخلص من أهم مسببات التفكير اللا أخلاقى ، ذلك التفكير الذى يدعو إلى أن يقول الفرد دائما (أنا وحدى ، وأنا أولا) . فالمأساة الأخلاقية التى تعيشها بعض المجتمعات أساسها فساد الأعماق، وبالتالى ضياع التفكير الأخلاقى ، وانحراف التفكير العلمى إلى مسارات الشرور ، والآثام ، والضياع .

إذا تساءلنا عن الأسباب الحقيقية لما يعانيه مجتمعنا من بعض السوءات : كالتسيب والانحرافات والسرقات ... إلخ ، والجرائد تكتب كل يوم عن هذا وذاك والفضائح فيها لاتنتهى ، وفى كل صباح نجد دائما الجديد من هذه المخازى المؤلمة للنفس، ولكنها موجودة ، وما ينشر جزء قليل جدا مما ضبط ، وما ضبط قطرة صغيرة فى سيل الذى لم يضبط .

تربية الأعماق من أجل الأخلاق ...

إنها عملية تحتاج لمجهود غير عادى ، ولكنه ممكن وممكن جدا إذا صدقت النوايا .

الفصل السابع

المدارس الابتدائية :
الانسجام والتعاون

(٢-٧-١) : مقدمة:

لاتفتأ صحفنا ومجلاتنا العربية تذكر بالإعجاب ما حققته وتحققه اليابان من إعجاز وإنجاز، ونستطيع أن نلخص ما يحدث هناك فى كلمتين : الإخلاص والولاء، مع ندرة من الشعارات التى تكتب وتردد ، وأغنيات مملوءة بالحب والحماس . والمؤكد أن العمل الجاد المخلص فى جماعية متعاونة هو السبيل الذى أوقف اليابان على قدميها ، وفى شموخ ، بعد ما حدث لها من هزيمة فى نهاية الحرب العالمية الثانية. وللمدرسة فضل ، وللبيت فضل ، وكذلك للمجتمع الذى أصر، ويصر على الإنجاز والتقدم والتفوق .

(*) نذكر القارىء بأن المتعلم يطلق عليه لفظ الطفل، أو التلميذ وأحيانا الطالب، كما نقول معلم ، أو مدرس ، أو معلمة . وكلها تعنى القائم على العملية التعليمية مع التلاميذ .

فى فصول سابقة ... تعرضنا مع المؤلفة للأسرة اليابانية ودور البيت ، وفى هذا الفصل ... نعرض ما كتبته عن التعليم الابتدائى ونعلق عليه ، وهى صاحبة الخبرة الطويلة باليابان ، حيث عاشت سنوات هناك ، وسوف يلاحظ القارىء اهتمام المؤلفة الشديد والجارف بتربية الطفل فى البيت والمدرسة الابتدائية ، اهتمام نراه أساسيا ، وليتنا نأخذ به، ثم ننتقل معها فى الفصل التالى إلى فحص للتعليم الثانوى .

* * *

لعل القارىء يذكر الطفل كينيشى الذى ذهبنا معه ، ومع والدته ، وأخته الرضيعة المحمولة على الظهر ، ليتعرف على روضة الأطفال التى التحق بها . هذا الطفل قد عُبئت له اهتمامات والديه ، والمعلمين ، وإدارة المدرسة ، بل والمجتمع كله ليصبح دخوله «المدرسة الحقيقية» ، وليست روضة الأطفال من أهم أحداث حياته ، وتسهم عوامل كثيرة فى جعل أول يوم فى المدرسة الابتدائية يوما خالدا فى ذاكرته لما فيه من استعدادات واحتفالات ، واجراءات منظمة تشركه فيما يدور من أنشطة وتعرفه على معانى ما يدور حوله ويشترك فيه . ومع انغماس كينيشى فى الجو المدرسى وشعوره بما يحاط به من اهتمامات فى المدرسة ، وخارجها ... فإنه يبدأ يحس بالتزامه وولائه لهذا العالم المدرسى بما فيه من زملاء ، ومعلمين ، وإدارة المدرسة ، بل والتزامه نحو نموه هو نفسه .

مرة أخرى سيدخل كينيشى إلى مناخ جديد عليه ، كما كان عندما دخل روضة الأطفال ، بمعنى ... أنه يتهيأ للانضمام لمجموعة أطفال جدد فى بيئة جديدة ، فكل ما حصل عليه من تطبع اجتماعى سواء فى البيت ، أم فى روضة الأطفال لا يعطيه إلا قدرا محدودا من المهارات التى تنسب له شخصيا .

وكما حدث فى الروضة.. فقد زار كينيشى وأمه، المدرسة قبل بداية العام الدراسى للتعرف على ما فيها ومن فيها ، ومع ذلك ... فهناك قدر ضئيل من القلق عند معظم الأطفال حتى إذا كان لبعضهم أشقاء سبقوهم إلى دخول نفس المدرسة . وكما يحدث عادة.. فإن الأم تزود طفلها بما يتطلبه وجوده فى المدرسة تلميذا فى الصف الأول ، فهى حريصة على أن تكون له حقيبته التى يحملها على ظهره ، وأقلامه ، ومناديله ، وملابسه الجديدة ، فلا يوجد زى موحد يلبسه أطفال المدرسة الابتدائية فى اليابان ، وتقدم معظم المدارس الابتدائية الحكومية وجبة أثناء اليوم المدرسى ، ولكن فى بعض المدارس الخاصة ، ومعظم المدارس الإعدادية ... يحمل الأطفال وجباتهم التى أعدتها أمهاتهم إلى المدرسة ، ولابد لهذه الوجبات أن تخضع لمواصفات محددة حتى لاتضطر إدارة المدرسة إلى التنبيه بضرورة التزام الأمهات بتلك المواصفات .

(٣-٧-٣) : اليوم الأول فى المدرسة

الآباء فى حلل سوداء ، وقمصان بيضاء ، وأحذية سوداء لامعة . الأمهات فى أبهى الأزياء وأكثرها حداثة ، والجدات فى زى الكومونو بوقارهن والتؤدة فى الحركة ، كأن الجميع فى حفل عرس ، أو فى مناسبة جليلة الشأن أقيمت ، حيث يعمل الآباء . الأولاد فى حلل داكنة اللون (البنطلون قصير) وعلى الرؤوس قبعات . البنات فى ملابس أنيقة جميلة ، والقبعات ذات أشكال وألوان متعددة .

يجتمع كل هؤلاء مع إدارة المدرسة والمعلمين ، للاحتفال ببداية العام الدراسى واستقبال تلاميذ الصف الأول . تلاميذ الصف السادس ، هم الأشقاء الكبار للتلاميذ الجدد الذين تفتح الأحداث المتوالية عيونهم ، وهى مشبعة بانفعالات شتى . يستقبل ناظر المدرسة الجميع من الكبار والصغار بكلمات ترحيب ، مع بعض التوجيهات والنصائح التى كثيرا ما يرددها المعلمون أمام تلاميذهم فيما بعد ، ثم يقدم الناظر هيئة

التدريس والإداريين والمسئولين عن صيانة ونظافة المبنى ، وكذلك الذين يعدون الوجبات فى الطبخ . وكما سبق [٧] . إن سمع كينيشى نصائح عن السلامة فى الطريق، وفى المرور ، وفى الروضة .. فإن هذا يتكرر أيضا فى المدرسة الابتدائية .

مرحبا بالتلميذ فى أسرة جديدة ، هى أكبر وأكثر اتساعا من أسرته فى البيت، ولكنها فى نفس الوقت تقدم نفس الاهتمام والرعاية له ، ودائما عندما يتكلم التلاميذ عن المدرسة ... يقولون «مدرستنا» ، وكذلك يفعل المعلمون والإداريون .

يصحب تلاميذ الصف السادس زملاءهم الجدد تلاميذ الصف الأول إلى فصولهم، بينما ينتظر أولياء الأمور أبناءهم ، فاليوم الأول بالنسبة للجدد قصير ، إنه مجرد عينة شهية لما ستحمله أيام الدراسة التالية .

عندما يدخل التلاميذ الجدد فصولهم ... تبدأ المعلمة فترحب بهم ، وتوضح لهم موقع الفصل من المدرسة ، وما فيها وما فيه من أدوات وأجهزة ، ثم تبدأ فتنادى على الأطفال، وعندما يسمع الطفل إسمه يقف بجوار مقعده ، صائحا فى صوت مسموع «حاضر» ، وتستطرد المعلمة مبينة أن العمل المدرسى فى هذا العام سيكون جادا ، ولكنه مشحون بالمتعة ، ثم تشرح فى صورة عامة ووقت قصير : ماذا يحوى العمل المدرسى فى الأسابيع القادمة . وبابتسامة تسمح لهم - بعد أن تعرفوا عليها وتعرفت عليهم - أن يهرعوا إلى أولياء أمورهم . ويعود كينيشى مع والديه وأخته مشيا على الأقدام إلى البيت ، فالمدارس الابتدائية الحكومية - عادة - تكون قريبة من سكن الأطفال ... عادوا إلى البيت ، وعادوا إلى ملابسهم المعتادة وإلى الحياة اليومية .

(٢-٧-٣) : إجراءات وتفاصيل

مع إن المعلمة لاتهتم فى اليوم التالى - وما بعده من أيام الدراسة - بموضوعات القراءة والحساب وغيرهما من مواد دراسية ... إلا أن العمل جاد فيما تبذله المعلمة مع فصلها فى تعويد المتعلمين على الحياة مع مجموعة ، وعلى عادات وتقاليد هذه المدرسة[١] . وتمضى وقتا طويلا فى تعويد الطفل على كيفية وقوفه وجلوسه فى الفصل ، كيف يتحدث ، وكيف يعد أدواته المدرسية على درجه (مكان القلم ، مكان المسطرة ، كراساته ، كتبه ... إلخ) . ونرجو ألا تعتبر هذه أمورا صغيرة كما قد يعتقد البعض ، ولكنها أساسية فى تعويد الطفل سلوكيات يتطلبها وجوده مع مجموعة فى حجرة الدراسة . ومن الملاحظ أن البنات أسرع فى تعلم تلك السلوكيات من التلاميذ الذكور .

وتأتى الأيام التالية مع حرص المعلمة على تشجيع تلاميذها على التكلم بصوت جلى واضح مسموع عندما يطلب منهم الكلام ، فهذا قمين بأن يقوى الثقة والاعتداد بالنفس ، وهى ثقة يحتاجها الفرد فى المدرسة ، ومستقبلا فى العمل ، وفى تعامله فى المجتمع .

وقد يبدو هذا التركيز على تنمية الثقة بالنفس للناقد التربوى الغربى الذى يظن أن الفرد اليابانى لايشجع على التفكير المستقل ، ولا أن يبدى ما يجول بخاطره ، وألا يعبر عن فردية مستقلة أمام غيره . ومع ذلك .. ففى رأى المؤلفة أن اليابانيين فى مدارسهم مدربون ومعدون - أكثر من الأمريكيين - على الإفصاح عن ذواتهم والتعبير عن آرائهم علانية وأمام غيرهم . ويمكن توضيح هذا عندما نفرق بين السلوك أمام الآخرين كمهارة يمكن لأى فرد تعلمها ، وبين مسئولية الفرد عن مضمون هذا السلوك وما يعنيه، بمعنى إن الفرد أمامك يسلك بطريقة فيها احترام وتقدير لك ،

وهذا سلوك يمكن تعلم حركاته . وفرق بين مجرد الحركات وما تعنيه فعلا . إذن ... فالطفل اليابانى يتعلم ويدرب على يد معلمته - ووسط أقرانه - على قواعد سلوك يتبعها ، فهى كالطقوس فى قوتها ، مما يعطيه الثقة بنفسه فيما يفعل . ومن هنا... لايتعرض الفرد اليابانى لمخاطر الخطأ ، كما انه يمكن لغيره أن يتنبأ بسلوكه .

وكذلك ... يحرص المعلم على أن يعود الطفل الاعتماد على نفسه ، وهذا عكس ما يظنه الغربيون عن التربية اليابانية ، بل إن الغربيين يرون فى تعلم الاعتماد على النفس هدفا يصعب تحقيقه لأطفال الصف الأول الابتدائى ، وذلك لأنه يتطلب نموا مسبقا لنفس مزودة بمجموعة من مثيرات ودوافع .

وتقول المؤلفة إن : المربين الأمريكيين حريصون فعلا على تربية الأطفال على الاستقلالية ، ولكن لا يتلقى الأطفال إلا القليل من التوجيه عن معنى الاستقلالية ، وما عساهم يفعلون بها . ولذلك ... فإن قلة التوجيه هنا تجعل الطفل الأمريكى فى حيرة من أمره ، لايدرى ماذا يفعل للدرجة التى قد يفقد فيها فيما بعد قدرته على العمل الابتكارى المستقل . أما الطفل اليابانى... فيتعلم كيف ينجز أعمالا صغيرة محددة - كل عمل على حدة - يتلوه عمل آخر ، ثم ثالث ... وهكذا . ويعطى الطفل وقتا كافيا ليتعلم كل خطوة ويتقنها ، وبذلك نرى المعلمة تحرص على أن يتعلم الطفل الجزئية فى وقت كاف حتى يتمكن منها . إذن ... فهنا يظهر مدى الاهتمام بتعلم الإجراءات ، والعمليات ، والتفاصيل قبل أن يسمح للطفل بأداء عمل متكامل معتمدا على نفسه، وعندما يكتسب الطفل هذه الثقة فى نفسه، تصبح هى الشعلة التى توقد الدافعية الذاتية، وهذا هو هدف تعليم الاعتماد على النفس فى التربية اليابانية.

تقول المؤلفة إن المعلمين اليابانيين جماعة تتميز بقدرة فائقة على الصبر ، فالدروس تتكرر ويعاد تقديمها إذا لزم الأمر ، وتقدم دائما خطوة بخطوة كما كان متبعا منذ قرون مضت . ولا ينتظر المعلم من الطفل أن يتمكن من فهم طريقة ما ، أو قانون

ما من أول مرة يقدم له ، وهو لا يغالى فى مستوى الطموح بالنسبة لأداء التلاميذ حتى لايصاب بالتوتر والقلق إذا لم يصلوا إلى هذا المستوى . وعادة ... لايركز المعلم اليابانى على الشرح اللفظى النظرى ، فهو يقدم عرضا عاما مختصرا جدا عن الموضوع ويوضح جوانبه ، ويستطيع التلاميذ غالبا استنتاج وفهم المدرك ، أو المفهوم الأساسى فى الدرس قبل أن يذكره المعلم .

وبالمقارنة ... بالمعلم الأمريكى تقول المؤلفة إنه لايتصف بهذه الأناة ، وهذا الصبر فى تعليم التفاصيل والجزئيات الصغيرة ، وأن مكانته تكتسب وجاهة أكثر إذا استعرض معرفته عن المفاهيم والمجردات ، ومن قدرته على اللفظية فى العرض والشرح. وقد يكتفى المعلم ، بأن يحفظ التلاميذ ما سرده ، وربما دون فهم معناه ، وهذا يجعلهم يعتمدون عليه لشرح معنى ما حفظوه ، أى إنهم أحيانا يفتقدون القدرة على الفهم بأنفسهم . وبشكل عام ... فإن الغربيين يعتقدون أن تعلم التلاميذ المبادىء والقوانين تدفعهم إلى الاستقلالية فى البحث والاستقصاء . وفى الجانب الآخر... فإن المدرس اليابانى يرى فى اعتمادية التلميذ على مدرسته ركنا مهما فى طرق التدريس ، وإن هذا لايعنى الإقلال من قدرات التلاميذ ، لأنهم صغار ، والدليل على ذلك - كما سنرى بعد قليل - أن لأسلوب التعلم بالاكتشاف أهمية كبيرة جدا فى التربية اليابانية.

(٢-٧-٤) : الطاقة والانغماس فى العمل

نظرا لهذه الأفكار عن التربية اليابانية ... فإن الغربى سيصاب بصدمة عندما يدخل زائرا لأحد فصول الصف الخامس الابتدائى فى مدرسة حكومية يابانية ... فالزائر يتوقع أن يكون جو الحجرة مشبعا بالصم والتسميع والحفظ عن ظهر قلب ، كما يتوقع نظاما صارما وسلطة وسيطرة من جانب المعلم .

وهذا المتوقع بعيد كل البعد عما يحدث فعلا ويراه ويحسه الزائر فى حجرة الدراسة . تقول المؤلفة إنها دهشت جدا عندما دخلت أحد فصول الصف الخامس ، وكانت حصة حساب : الفصل يعج بالفوضى ، ورائحة اللانظام تفوح بقوة ، وأصوات التلاميذ عالية ومختلطة ، وهم يتحركون فى تلقائية ، وحرية ، متحدثين بعضهم مع البعض الآخر ومستخدمين أيديهم فى حركات تعبيرية لتأكيد أقوالهم وما يتحدثون به... وصحت فى أعماقى : ألا يوجد شخص مسئول عن هذا الفصل ؟

وعندما تجولت بنظراتى وجدت معلمة فى ركن ، تصحح أوراقا أمامها ، أو تجيب عن أسئلة تلميذ ، أو تلميذة . الشىء الغريب هنا أن هذه الأصوات الكثيرة كانت اقتراحا لحلول بعض المشكلات ، أى مسائل حسابية ، ودفاعا عن طريقة حل ضد طريقة حل أخرى ، وتمسكا بوجهة نظر فى تعدد أسباب هذا التمسك .... والمؤكد أن هذه الأصوات ، والمناقشات لم تكن خارج موضوع الدرس ، فلم تكن قصة يحكيها تلميذ لآخر ، أو تخطيطا لما ستفعله مجموعة منهم فى فترة الاستراحة ، أو تعليقات عن مباراة كرة قدم وتحيز لفريق ضد آخر ... أبدا لم يكن شيئا من هذا ، وإنما هى فوضى فى نظرى كلها موجهة للتعلم ، أى لحساب الحساب . بل إن المعلمة رأت فى هذه الفوضى انغماسا ، واهتماما من جانب المتعلمين وحماسا لتنفيذ ما طلبتها منهم ، أى إن هذه الفوضى فى رأيها ، وارتفاع أصوات المناقشات دليل نجاحها فى إثارة دافعية التلاميذ للتعلم وأداء العمل [٢] .

وتستطرد المؤلفة فى وصف حصة الحساب هذه .. فتقول : إن المعلمة طرحت فكرة عامة عن التكعيب بعد (فترة الفوضى) ، مجرد فكرة عامة ، وقبل أن تقدم أية رسوم توضيحية أو ، معادلات ، أو أشكال ... طلبت منهم أن يدونوا فى كراساتهم مشاعرهم وأفكارهم عن التكعيب ، هذه الفكرة الجديدة موضوع الدرس .

وبعد أن استمعت المعلمة إلى انطباعات من جانب تلاميذها ... بدأت تشركهم معها فيما يتبع لمعالجة هذا الموضوع الجديد ، ثم طلبت منهم تكوين مجموعات عمل،

تتكون كل مجموعة من أربعة ، أو خمسة أفراد ، وأعطتهم بعض الخامات والأدوات ليتعاملوا معها . إقترحت مجموعة عمل نموذج مجسم للمتر المكعب ، ونظرا لضخامة النموذج .. خرجت المجموعة إلى الردهة الملاصقة لحجرة الدراسة لتنفيذه ، وبعد فترة عادت المجموعة بالنموذج الذى قوبل بكلمات ضاحكة مندهشة مبهورة بهذا الجسم الضخم ، ويتساءل البعض : كم فردا منه يمكن أن يحتويه هذا النموذج للمتر المكعب؟. أما الخطوة التالية .. فقد تبلورت فى مسألة صعبة عن التكعيب طرحتها المعلمة ، وهى تدرى أنها أعلى من مستواهم ، ولكنها تركتهم بقية زمن الحصة يحاولون حلها . وانتهت الحصة دون الوصول إلى حل ، ولم تشأ المعلمة أن تقدم للتلاميذ الحل ، بل طلبت منهم مزيدا من المحاولات . وقد مضت عدة أيام ، وهم يصارعون المسألة قبل أن يصلوا إلى الحل المطلوب ، وكان كل وقت يمر يزيد حماسهم اشتعالا ودافعيتهم توقدا .

وتلقى المؤلفة الأضواء فى هذا الموقف على عدة أمور :

١- أعطيت الأولوية للأحاسيس والمشاعر ، وإعطاء الفرصة للتلاميذ للتعبير عن أفكارهم ، وللاكتشاف بدلا من مدهم بالحقائق والوصول إلى الحلول . كما أكدت المعلمة على الالتزام وإجراءات العمل أكثر من اهتمامها بحفظ (النظام) ، كما يراه الغربيون ، ولا بالنتائج التى يصل إليها التلاميذ .

٢- أعطيت تعليمات العمل للمجموعات وليست للأفراد (وهذا نفس الأسلوب الذى يتبع فى الشركات والمصانع) . ويمنح الأفراد - داخل نطاق مجموعتهم - فرص محاولات للإنجاز ، كما لهم أن يخطئوا حتى يصيبوا ، هذه المحاولات والأخطاء تتم داخل المجموعات فى أعمالها وهى تعمل ، والمعلمة تراقب كل هذا وتشجعه . ولابأس من أن تتنافس المجموعات فيما بينها ، ونجاح المجموعة هو نجاح لكل فرد فيها ، كما أن نجاح فرد هو نجاح للمجموعة . وعن هذه المجموعات .. فإن المعلمة هى التى تشكلها ، بحيث تضم تلاميذ من ذوى المهارات والقدرات "abilities

and skills مختلفة المستوى ، ولكل مجموعة قائد ينظم مع أفرادها العمل ، ويشجع البطىء منهم ، كما يتولى تقديم التقارير عن إنجازات مجموعته للفصل كله . وبهذا ... يدرب هذا القائد كصبى أى كمساعد للمعلمة ، ويتناوب التلاميذ تولى هذه المهمة تباعا ، فسوف يأتى الدور على كل تلميذ يكون فيه مساعدا للمعلمة .

(٣-٧-٥) : المعلم والتلاميذ

الدافعية وإدارة الفصل

ترتكز التربية فى المدرسة الابتدائية اليابانية على مبدأ ، مؤداه أن الأطفال متساوون فى الإمكانية على العمل «potential» ، وأن هذه المساواة تشكل أفضل مناخ لإثارة التعلم . ويقتنع المعلمون اليابانيون بهذه الركيزة القائمة على جدوى وأهمية عمل التلاميذ فى تعاون يستبعد المنافسات الفردية ، لأن التنافس فى رأيهم يولد الانقسامات ، والعداوات ، ويدفع الطفل إلى فردية سلبية . ولهذا ... فإن تشجيع المعلمين للأطفال على الأعمال ، والأنشطة الجماعية أمر حيوى ، وإن كانت هناك مواقف محدودة جدا ، يكون للعمل الفردى المنفصل دوره . وبمعنى آخر .. فإن المعلم الياباني ينشىء فى فصله مملكة رعاياها من المتساويين ، مع خضوع هذه المملكة لرقابة ورعاية وتوجيه مستمر ، ويمكن تمثيل ذلك بالشكل الآتى :

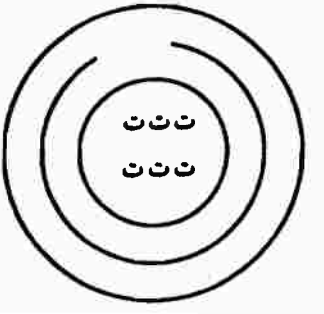

م = معلم
ت = تلميذ

تدعو الحاجة إلى الوحدة والاتحاد فى العمل ، بانسجام إلى الدرجة التى تدفع المعلمة إلى بعض الإجراءات ، حتى لايؤثر الأداء النشاز على جمال النغم ، أو المنتج الجماعى ، فمثلا .. إذا أحس المعلم أن طفلا أو أكثر ، لاينسجم عزفه على آلة موسيقية مع عزف المجموعة .. فإنه يجرى تحويرا فى آلات الأطفال دون المستوى العزفى ، حتى لاتصدر آلاتهم أصواتا أثناء العزف الجماعى ، ويكتفى بأنهم يحركون أصابعهم على الأوتار مثلا ، أى إنهم مشتركون ولكن أصوات عزفهم صامتة [٣] . وبذلك .. فإن المعلم اليابانى يحمى تلميذه الأقل فى مستوى الأداء ، فلا يصيبه بالإحباط لعدم الاشتراك مع المجموعة ، ولا يحرجه بسبب سوء أدائه .

وثمة نموذج آخر يعبر عن هذه الوحدة داخل الفصل المدرسى ، يتمثل فى العلاقة بين المعلم ، وكل تلميذ على حدة فى العملية التعليمية ، ويوضح الشكل التالى هذا النموذج :

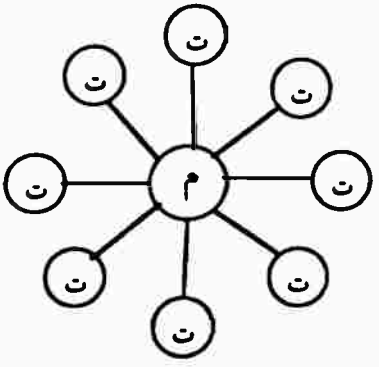

وهذا النموذج الأخير يتبعه رجال الدين ، ومعلمو الفنون ، والأقسام الأكاديمية فى الجامعات ، وفى وحدات الجيش . وهو يندرج تحت وصف النموذج التقليدى «لمملكة الفصل» ، وفى هذا النموذج يعرف المعلم كل تلميذ وما فيه من جوانب القوة ، وجوانب الضعف ، ويأخذ هذا فى اعتباره ، وهو يتعامل معهم مراعيا أهمية كل هذا فى عمل

الفصل ، كمجموعة منسجمة الأداء ، بعيدة عما يسبب التنافس الفردى واغتراب الفرد عن المجموعة. ويطلق على هذا النموذج تعبير «المساواة الأفقية»، أما النموذج الأول.. فيطلق عليه «مساواة الأقران» . ويتطلب النموذج الأفقى وقتا أطول ، وإخلاصا أعظم من المعلم ، الأمر الذى يراه البعض استغلالا لطاقته ومجهوده ، لأنه يتطلب منه توجيها أكثر وزيارات منزلية للقاءات مع أولياء أمور التلاميذ .... إلخ .

ويرى بعض المربين اليابانيين أنه لاتوجد أدلة تميز نموذجا على آخر فيما يتعلق بنجاح التلاميذ فى الامتحانات ، ولكن ثمة كثيرين مازالوا يؤمنون بأن النموذج الثانى (الأفقى) هو الذى يحقق الدافعية للتعلم الحقيقى ، ولكن تنفيذه اليوم أصبح صعبا لزيادة عدد التلاميذ فى الفصل الواحد .

ويصف المعلمون أنفسهم فى عملهم بأنهم ، كصيادى السمك الذين كانوا (فى الماضى) يستعينون بسرب من طيور سوداء اللون ، ذات أعناق طويلة يدربونها على الانقضاض لالتقاط الأسماك من الماء وتوصيلها إلى الصيادين . ويمتلك كل صياد مجموعة من هذه الطيور ، يربط كل منها بخيط ، بدايته فى أصابع الصياد فهو متحكم فى كل السرب ، وفى كل طائر على حدة ، أى إنه بالخيط يوجه كل طائر على حدة ، كما أن فى يده خيوط كل أفراد السرب . وهذه هى إدارة الفصل المثالية : بث الانسجام الشامل مع الاهتمام بكل تلميذ على حدة .

وتستخدم مجموعات العمل فى أغراض أكاديمية ، وغير أكاديمية ، فهى جزء من إدارة الفصل التربوية ، وهذه الروح الجماعية مستخدمة داخل الفصل فى الدراسة ، كما هى فاعلة فى أنشطة أخرى ، مثل : تناول وجبة الغداء وما فيها من مسئوليات ، والحرص على نظافة الفصل وتجميله ، والعناية بالمبنى المدرسى ، والحفاظ على أناقته وصورته المرغوبة .

ومن جانبنا .. نؤكد هنا على أن تعلم الأخلاق فى مدارسنا المصرية لايجب أن يقتصر على دروس بذاتها ، أو مقرر بعينه ، بل يجب أن يتغلغل فاعلا فيما يدور داخل الفصول ، وفى كل المواد الدراسية ، وفيما يجب أن يحدث خارج الفصول فى المدرسة ككل، بل وخارج المدرسة أيضا . إننا لا نقف هنا عند حد ترديد عبارات تعكس الخلق السليم ، أو السلوك القويم ، أو المعاملة الواجبة ، بل تتحول الكلمات إلى أفعال تمارس ، أى يمارسها المتعلمون ، ونضيف والمعلمون أيضا . نرجو مناخا مشبعا بالفعل الطيب كالأريج العطر ، لا مجرد حكم وأقوال تردد .

وعودة إلى المؤلفة .. فهى ترى أن العمل فى مجموعة هو أيضا استراتيجية للتدريس ، تستخدم لاشراك مجموعة من التلاميذ ذوى القدرات المتباينة فى أداء عمل واحد ، يحس الجميع فيه بأهمية العمل الجماعى ، كما يستشعر الطفل الأقل قدرة أمانا وطمأنينة وهو يشترك مع غيره ويسهم ، مما يدفعه لتحسين أدائه . وفى هذا الشأن ... يقول كامنجز Cummings [٤] : عن ثلاث تلميذات أخذن فى مجموعتهن زميلا فى الفصل ، كان مستواه متواضعا ، فهن متفوقات دراسيا ، ولهن جلد وصبر وتحمل، وأخذن هذا الزميل فى تحد ، يحاولن تقوية الدافعية والحماس عنده ، ووقفن خلفه يدفعنه لأن يقدم تقرير المجموعة ، فإذا تردد فى الوقوف دفعنه دفعا مستخدمات أيديهن ، وإذا تلجلج ، أو تلعثم ... فهن ملقنات يزودنه بالكلمات المطلوبة ، وينطقها ويستمر فى تقديم تقريره ، مع ارتفاع ثقته بنفسه تدريجيا وببطء . والمجموعات هنا كما يقول كامنجز هى بمثابة وسيط تربوى بالمعنى العريض ، أكثر من كونها مجرد أدوات لتحصيل المعرفة .

وتقول المؤلفة ، مقارنة العمل فى مجموعات فى المدارس الأمريكية ، فهى تراها موجهة لخدمة الفرد التعليمية لا لسد احتياجات المجموعة ، وهى لاتهدف لتحقيق إحساس كل فرد بانتمائه للمجموعة ، وإنما هى وسيلة للإقلال مما يسببه بعض التلاميذ

بطيىء التعلم من مشكلات ، كما تسمح بمناخ أكثر راحة للمعلم ليقوم بعمله . ولاينظر إلى التعلم على أنه هدف جماعى ، وتعبر استركون Esther Kohn عن ذلك بقولها : إن التلاميذ يحتاجون إلى الشعور بأن هناك سلطة فوقهم ، أو أنهم يمكنهم أن يشاركوا فى هذه السلطة ، حتى يحسوا اعتزازا بأنفسهم وتقديرا لذواتهم ، أما فى اليابان .. فإن المشاركة فى السلطة هى فى حد ذاتها نوع من التعاون ، الذى هو ، فى حد ذاته أيضا ، مصدر لراحة الفرد وتكوينه النفسى السليم .

ويرى المربون اليابانيون أن العلاقات الإنسانية الطيبة وتأكيدها هى هدف فى حد ذاتها ، إلى جانب أنها وسائل طيبة لتعليم مختلف المواد الدراسية ، ولهذا ... فالتأكيد واضح على توطيد هذه العلاقات بين التلاميذ بعضهم البعض الآخر ، وعلى تكوين الصداقات بين زملاء الفصل الواحد ، ويحرص المعلمون على مساعدة الطفل الذى لايحقق تلك الصداقات والعلاقات . ويعرف المعلم أن الطفل يحس بارتياح نفسى عندما يقدره زملاؤه ، فالشعور بالتقدير ، وبحب الآخرين من الحاجات النفسية ، ويتزايد هذا الشعور عند بطيىء التعلم .

وقد لاحظ المعلمون أن أعداد بطىء التعلم قليلة فى الصفوف الأولى ، ولكنها تكثر فى الصفين الرابع والخامس ، حيث يمكن هنا استخدام التعلم فى مجموعات . وأحيانا .. قد يعترض أولياء أمور التلاميذ المتفوقين دراسيا ، وذلك لأن مساعدة التلميذ المتفوق لزميله الضعيف تعطله فى تحصيله . ويرد المعلم اليابانى مؤكدا : «إن الطفل المعلم هو نفسه يستفيد من مساعدة غيره» ، يضاف إلى هذا أن الطفل المتفوق عادة ينتهى مما يكلف المعلم به التلاميذ من أعمال فى وقت قصير ، ويكون حينئذ أمامه وقت يصرفه فى مساعدة طفل يحتاج إلى هذه المساعدة ، خاصة إن النظام اليابانى لايسمح بالاختصار الزمنى لسنوات الدراسة ، أى ينتهى التلميذ المتفوق من دراسته فى زمن أقل من أقرانه .

إلى جانب العمل فى مجموعات ... فإن المعلم يستخدم طرقا متنوعة فى ترتيب حجرة الدراسة لتيسير التعلم، فالمقاعد ليست مثبتة فى أرضية الحجرة، ويمكن تحريكها حسبما يتناسب مع وسائل وأهداف الموقف التعليمى ، مثل : عرض فيلم ، أو تقديم بيان عملى ، أو تقسيم الفصل إلى مجموعات ، أو عقد مناقشة جماعية ... إلخ .

ومن الأمور المعهودة ، كما نعهده نحن فى مدارسنا ، أن يستخدم المعلم أساليب متعددة لإثارة دافعية التلاميذ ، وتشويقهم للدرس وللتعلم . ومن هذه الأساليب تقديم الدرس ، وهى اللحظات الأولى التى يقدم فيها المعلم الموضوع الجديد ، فقد يجد خيرا فى أن يعرض خبرة ذاتية شخصية حدثت له ، وترتبط بموضوع الدرس ، أو يستدعى بعض أفكار تلاميذه فيعرضون ما عندهم ، وقد يقف أحدهم يعرض فى حماس عن زيارة مثيرة قام بها ، أو خبرة مر بها على أن تكون ذات صلة بموضوع الدرس ... فالأمر المهم أن يشعر المعلمون برغبة تلقائية داخلية فى تعلم شىء جديد ، وهذا يتأتى بالتخطيط المسبق والمعد إعدادا جيدا .

(٢-٧-٦) : نار وهواء

حصة فى مادة العلوم

وتدخل إلى درس فى الصف الخامس ، والإثارة هنا لبث الشوق نحو الموضوع الجديد تختلف ... نحن الآن مع معلم العلوم فى المعمل ، مرتديا معطفه الأبيض فوق بدلته ، وأمامه التلاميذ جلوس وهو يسألهم : ماذا يحدث للهب شمعة لو وضعنا فوقها كوبا ، أو ناقوسا فارغا مقلوبا ؟ وارتفعت أيدى وانطلقت ألسنة بإجابات دونها المعلم الذى جاوز الأربعين من عمره على السبورة كما تفوه بها التلاميذ ، دون رد فعل بالإيجاب ، أو النفى منه . وتخير المعلم عددا قليلا ممن أجابوا ، ليحضروا من ركن المعمل مجموعة من الشموع ، والأكواب الفارغة ، وأعواد كبريت . وطلب من تلميذ أن

يشعل شمعة ، ومن آخر أن يضع الكوب مقلوبا فوق الشمعة ولهبها . انطفأ اللهب ، وتكررت العملية بواسطة أطفال آخرين ، ولكن الإجراءات لم تكن واحدة ، فبعض الأكواب لم تغط الشموع تماما ، ويتساءل التلاميذ ، ولكن المعلم لايجيب ، بل يضيف من عنده أسئلة ، وفى نفس الوقت .. كان بعض التلاميذ يحسب الوقت الذى يستغرقه لهب الشمعة مشتعلا بعد تغطيته بالكوب المقلوب ، ومازال المعلم يكرر سؤاله (لماذا ينطفىء اللهب؟) وانتهت تجربة الشموع ، والأكواب المقلوبة ، وقدم بعض التلاميذ ماتصوروا أنه السبب فى انطفاء اللهب ، أو التلكؤ فى انطفائه ، والمعلم يتقبل ويستمع . وهنا يطلب المعلم من تلميذين التقدم ومعهما مجموعة من الشموع ، والأكواب ليقدما عرضا ، توضع فيه الأكواب فوق لهب الشموع مرة ببطء وأخرى بسرعة، وثالثة تسمح بتسرب الهواء من أسفل، موجها الأنظار إلى اللهب ووضع الأكواب ... ويطرح المعلم سؤاله : لماذا ينطفىء اللهب ؟ ولماذا ينطفىء بسرعة ، أو ببطء ؟ هل السبب : الكوب ؟ أم وضعه ؟ أم الشمعة ؟ ... إلخ ، أم أن هناك سببا آخر ؟ وتلقى إجابات مختلفة ، أما الذين لم يجيبوا فوجه لهم أسئلة أخرجتهم من صمتهم حتى يشتركوا مع غيرهم .

وإلى هنا .. تنتهى الحصة الأولى من حصتين متتاليتين ، مدة كل منها ٤٠ دقيقة بينهما ١٠ دقائق راحة . عاد بعدها التلاميذ وأحاديثهم عن اللهب والشمعة والكوب الفارغ المقلوب . وعندما اكتمل عقدهم فى حجرة المعمل ، وبرز صوتهم ... انحنى المعلم الانحناءة المعهودة فى تقاليد اليابان ، وكان معناها الصمت التام داخل الحجرة ، وعود إلى الدرس .

ويسأل المعلم : هل تعرفون شيئا عن الأكسجين ؟ وعن العلاقة بين اللهب والهواء ؟ أجاب البعض بما ينم عن معرفة واضحة ، والبعض عن معرفة قليلة ، وأخر عن جهل بهذه العلاقة . وهنا أيقظ المعلم طفلا غارقا فى حلم يقظة ، بسؤال مفاجىء

حاد أربكه وأيقظه من حلمه ، ولم يجب التلميذ . وكان المعلم صارما جدا بشكل مفاجىء ، مما صدم بقية الفصل ، ثم سرعان ، بابتسامته الهادئة ، ما استأنف أسلوبه السقراطى فى توجيه الأسئلة .

فى النصف الساعة الأخير .. طلب المعلم من التلاميذ أن يعدوا تقريرا عن تلك التجربة ، وشرع كل تلميذ يرسم التجربة باستخدام القلم والمسطرة ، ثم يشرح خطواتها ويفسرها . ووجههم المعلم إلى كيفية إعداد التقرير المعملى ، وكان يمر وسطهم يجيب على أسئلتهم . ومن الملاحظ أنه بالرغم من أن التلاميذ عملوا أثناء الحصة فى مجموعات ، كل مجموعة من اثنين ، إلا ان التقرير كان فرديا ... وانتهت الحصة ، والتقارير فى صور أولية ، وعليهم استكمالها كل فى بيته .

يطلب المعلم أشياء كثيرة ولكن أوامره قليلة ، وقد اتبع فى درسه هذا الأسلوب العلمى ، وكانت التجربة وسيلته إلى محاولة إفهام تلاميذه معنى الأسلوب العلمى أكثر منها عرضا للأكسدة . والتأكيد هنا أيضا على إمكانية استخدام استراتيجية التعلم بالاكتشاف باستخدام الأدوات والإمكانات المتاحة .

بهذه الطريقة ... تقدم مادة العلوم لطفل المدرسة الابتدائية ، لا من خلال حفظ المعلومات واستظهارها وترديدها ، ولكن من خلال الخبرة المباشرة والملاحظة والتجريب . وينظم المنهج ، بحيث يكون أول خبرات الطفل لدراسة مادة العلوم من خلال مواقف يومية حياتية ، يتعامل فيها مع خامات ، ومواد مألوفة لديه ، فأطفال الصفين : الأول والثانى يزرعون بعض النباتات ، ويلاحظون ما يطرأ على الجو من تغيرات ، ويتعلمون شيئا طفيفا جدا عن مبادىء المغناطيسية ، ثم يزداد اتساع وعمق ما يتعرضون له من ظواهر وقوانين وما تعنيه ، حتى إذا ما وصل التلميذ إلى الصف السادس .. فإنه يتعامل مع أساسيات ومدركات ، ومفاهيم علوم الأحياء ، والفيزياء والكيمياء .

(٢-٧-٧) : قيم الجهد المشترك

يقتنع المعلمون فى المدارس الابتدائية اليابانية بأن على التلاميذ الاشتراك -بجدية - فى الأعمال الجماعية ، جدية صادقة قائمة على اقتناع بأهمية ما يعمل والتزام من جانب التلميذ . وعلى المعلمين أن يأخذوا بأيدى التلاميذ إلى هذه الجدية ، ففى الولايات المتحدة الأمريكية .. يتوقع من المعلم أن يقيم قدرة ، أو إمكانية كل تلميذ، وعليه أن يمتدح أى مستوى أداء ، وإنجاز حتى إذا كانت به اخطاء وعيوب . أما فى اليابان .. فالأمر مختلف ، فلو حقق تلميذ نجاحا فى ٩٩٪ من العمل .. فإن المعلم يقول له : ليس تماما ، وكان يمكن أن يكون أفضل لو أنك انتبهت أكثر .

وتقول المؤلفة الأمريكية إن المربين فى بلدها يكثرون من كلامهم عن «الشخصية المتكاملة للطفل» ، و «التعبير عن الذات» ، والاهتمام «بالتعلم بالاكتشاف» . ولكن طرق التدريس فى اليابان - على الأقل فى المدارس الابتدائية - تطبق عمليات هذه المبادىء الثلاثة بدرجة تفوق ما يحدث فى المدارس الأمريكية. ولعل القارىء يذكر حصة «التكعيب» ، وكيف كان حماس التلاميذ وتلقائيتهم وإقبالهم على الموضوع الجديد ، وقد أعجبت المؤلفة بقدرة المعلمة على خلق هذا المناخ التعليمى.

يرتبط الفرق هنا باختلاف الثقافتين ، وما فيهما من مسلمات . ويفرق الأمريكيون فى كتاباتهم التربوية بين الجوانب المعرفية والجوانب الوجدانية ، على أن كلا منهما منفصل عن الآخر ، ثم نجدهم يختلقون وسائل مصطنعة حتى يعيدوا دمج الجوانب الوجدانية فى الجوانب المعرفية . وهذا ما يحدث بالضبط فى صناعة الفواكه المعلبة .. فإن مواد حافظة تضاف إلى الفواكه تنتقص من فيتاميناتها ثم - ويا للعجب - !! يعود الكيمائيون ويضيفون إلى الفواكه فيتامينات من عندياتهم ، حتى تعود

لها قيمتها الغذائية التى فقدت فى عملية الحفظ والتعليب . أما الثقافة اليابانية .. فتحرص على التكاملية من بداية العمل إلى آخر .

وفى عام ١٩١٩ .. لاحظ جون ديوى غياب مظاهر النظام فى الفصل اليابانى، وهو يتكلم عن الفكر التربوى فى اليابان .. فكتب :

«كثير من الحرية موجود فى الفصل اليابانى ، وبدلا من أن يظهر الأطفال أنهم يقلدون ولا يتمتعون بفردية فى تصرفاتهم - وهو ما كنت اتوقعه - فعلى العكس .. لاحظت اختلافات كثيرة ، كما لاحظت قلة فى المتشابهات فى الإنتاج الفنى ، وأن نوعية الإنتاج أفضل بكثير مما ينتجه أطفالنا فى مدارسنا . ولم يكن الأطفال فاعلين خوفا من سلطة شخص أمامهم ، وكانوا سعداء وسلوكهم جيد . ولم يعيرو انتباها للزائرين ، ... وقد توقعت أن يقفوا وينحنوا عندما دخلنا الفصل ولم يحدث»[٦] .

تقول المؤلفة إن الأطفال سعداء وسلوكهم طيب ، ولا تعارض بين الاثنين . ولكن ما يعرف فى أمريكا أن للآباء والمعلمين فهما آخر : ينتج السلوك الطيب من الردع وليس من السعادة ، وأن ما يدعو إلى السلوك الطيب لايتمشى مع ما يبعث الطفل على السعادة . إن ما يحدث داخل الفصل الدراسى اليابانى من تلقائية الحركة ، وما ينجم من سلوك التلاميذ مع معلميهم من ضحك ومداعبة وملاطفة خارج الفصل ، هى أدلة ساطعة على أن الأطفال سعداء ، ولكن لايتعدى واحد منهم الحدود .

(٢-٧-٨) : دروس اجتماعية

يمكن تحديد أهداف إسهام التلاميذ فى أنشطة الفصل أنها نضوج انفعالى مبكر، توافق مع المجموعة ومع الآداب الاجتماعية . هذا ... بالإضافة إلى عملية الإسهام والمشاركة فى حد ذاتها ، ويتضمن كل هذا اعتماد الفرد على نفسه ، وإن كان هذا يبدو لنا متعارضا مع توافق الفرد مع المجموعة وانضوائه تحت لوائه . ومع ذلك ... فإن نفس الفرد التى يتعلم صاحبها أن يعتمد عليها ، وهى ذاتها فى خدمة الوسط الاجتماعى ، والذى يجب على هذا الفرد أن يكون عضوا فيه ، وهكذا ... لا يتعرض الطفل لأية متناقضات أو صراعات .

وعند الطفل اليابانى.. فإن الدروس الاجتماعية موجودة فى كل مجال ومكان ، أى إن كل الأنشطة المدرسية محملة ، ومشبعة بالقيم الاجتماعية ، وليس الأمر قاصرا على المواد الأكاديمية فقط ، فمنذ أن يدخل التلميذ المدرسة فى الصباح إلى أن يغادرها بعد الظهر .. فهو معرض لمواقف هى أجزاء من الخبرة التربوية . ومثل جيد يوضح هذا المعنى يظهر فى التدريبات على الإجراءات التى تتبع عند حدوث زلزال [٧] . عند سماع التلاميذ لصوت مسجل لزلزال ... يهرعون إلى حيث توجد ملابسهم المبطنة والمعدة للارتداء عند حدوث زلزال . وقد أعدت كل أم لطفلها هذه الملابس بناء على إرشادات ، أرسلتها لها المدرسة عن نوع القماش وكيف يفصل ويحاك ... إلخ ، أو يكتفى الأطفال بالقبعات الخاصة التى توفرها المدرسة ، ثم يهرعوا حيث يحتمى كل طفل تحت درجه . وبعد فترة زمنية .. تطلق صفارات الأمان ، ويتجمع الأطفال على إثرها فى فناء المدرسة ، حيث تنادى على الأسماء . ويجىء الآباء ، أو الأمهات الذين أعلموا مسبقا بهذا التدريب الزلزالى (وحضورهم إجبارى) ، ليعودوا بصغارهم إلى بيوتهم ، تعاون بين البيت والمدرسة لمصلحة الأطفال وأمنهم . من هذا التدريب ، وما يسبقه ، وما يجرى فيه .. يخرج المتعلمون بدرس اجتماعى مهم جدا : أرض اليابان معرضة للمخاطر ، لذلك فتعاون الجميع مسألة حياة ، أو موت .

(٢-٧-٩) : تخيل هذه السمكة فى البحر

يعطى المدرس اليابانى حرية محدودة فيما يمكن أن يغيره فى المنهج الموضوع . ومع ذلك .. فهو يحاول - كما يفعل غيره - أن يتناول موضوعات المقررات بعقلية منفتحة ، وأن يقدم المادة العلمية فى صور مبتكرة ، فالمعلم يحاول تأكيد الربط بين ما يقدمه لتلاميذه ، وبين الحياة اليومية ، مما يتمشى مع المفاهيم الاجتماعية السائدة ويجعل للتعلم معنى ، وينأى به عن مجرد اللفظية والتجريد .

ولنضرب - هنا - مثلا عن معلم مواد اجتماعية فى الصف الرابع الابتدائى ، ابتكر طريقة ليقدم موضوعا مقررا عن حياة صيادى الأسماك ، فقد بدأ درسه بأن أفرغ محتويات ما اشتراه من السوق على سطح مكتبه أمام التلاميذ ، وكانت : مجموعة متنوعة من الأسماك ، والجمبرى وقواقع البحر من أشكال وأحجام متنوعة ملأت جو الفصل بروائح جعلت حاسة الشم تنبىء بأن البحر آت . وأعقب ذلك مباشرة - ودون أى تعليق - عرض خريطة لسواحل اليابان ، مبين عليها أرقام عن عمق البحر فى مناطق مختلفة بالقرب من الساحل . وهنا تناول المعلم كل سمكة ، ذاكرا أين يظن قد تم اصطيادها ، ويحدد الموقع على الخريطة ، وعلى أى عمق يعيش كل نوع من الأسماك، وكيف يتم اصطياد السمك من مختلف أعماق البحر ، ويستطرد مبينا أطرافا عن عادات الأسماك ، والمشاق التى يتحملها الصيادون ، والمسافات التى يتحتم عليهم قطعها لاصطياد تلك الأسماك . وكان يتعمد - أثناء شرحه - أن يلوح بالسمكة التى يتحدث عنها أمام التلاميذ بما يخرج منها من روائح زفرة ، جعلت الاشمئزاز يدفع ببعض التلميذات إلى الاختباء تحت الأدراج تأففا .

وكان المعلم يسمح بالأسئلة أثناء عرضه أنواع السمك فى هذه الحجرة التى أظلمها بعض الشىء ، ليتسنى عرض صورة الخريطة من جهاز عرض ، ضاعف حجمها فصارت تفاصيلها واضحة .

لا المقرر ولا دليل المنهج فيها شيء أوصى المعلم بأن يحضر سمكا أصطيد من البحر له هذه الرائحة المقذعة ، ولا أشار بشيء عن مواقع صيد السمك وعاداته ، ومتاعب الصيادين ... كل هذا من ابتكار المعلم .

فى نهاية الدرس .. كان باستطاعة التلاميذ التعرف على أنواع الأسماك ، وبعض عاداتها ، وحياة الصيادين وحرفة الصيد ومتاعبها . وبقيت رائحة السمك فى جو الفصل ساعات طويلة كأنما تقول للتلاميذ عن المشقة التى تكبدها معلمهم ليساعدهم على الفهم ، فقد أنفق ساعات ونقودا ومشقة فى سبيل حصة ، مدتها أربعين دقيقة فى الزمن ، ولكنها تساوى كثيرا وكثيرا فى العملية التعليمية .

كان هذا درسا عن حياة الصيادين وعن الأسماك ، وقد حاول معلم المواد الاجتماعية فى هذا الدرس أن يؤدى دوره فى تقديم الخبرة المتكاملة التى يشترك معه فيها عدد من المعلمين فى تخصصات مختلفة .

كان الموضوع هنا عن حياة صيادى الأسماك ، وكان على معلم المواد الاجتماعية أن يعرض لثقافة مجتمع الصيادين ، وأسلوب معيشتهم ، وتناول معلم العلوم موضوع الأسماك من الناحية البيولوجية ، وكتب التلاميذ موضوعات إنشائية وقصصا قصيرة قدموها لمعلم اللغة ... إلخ .

واختارت المؤلفة مثالا آخر للتكامل ، هو درس قدم للصف الثالث وكان «الورق» ، حيث تعلم الأطفال كيف يصنع الورق ، وزاروا مصنعا للورق ، واستخدموا الورق لعمل أشكال مختلفة فى حصص الرسم والأشغال اليدوية .

إن فكرة «الأنشطة المتكاملة» تعطى الفرص أمام معلمى المدارس الابتدائية ، كل مجموعة منهم تدرس فى صف واحد ، ويشتركون فى التخطيط والإبداع فى إطار منهج موحد للمدارس اليابانية .

ونحن نقترح تجربة هذا الاتجاه فى بعض مدارسنا المصرية ، وأن تتاح حرية للمعلمين للابتكار فى تنفيذ المناهج التى بين أيديهم . إن حجة تكدس الفصول بالتلاميذ عندنا مرفوضة ، لأن عدد تلاميذ الفصل فى بعض المدارس الابتدائية يساوى ، أو يقل عن متوسط عدد تلاميذ الفصل فى المدارس الابتدائية اليابانية ، والذى قد يصل إلى ٤٥ تلميذا وتلميذة .

(٢-٧-١٠) : البيت والمدرسة

يعزز التعلم سواء فى البيت ، أم فى المدرسة العلاقات الإنسانية ، كما يقدم مايرضى بعض حاجات الفرد الوجدانية الأخرى . ويتضح لنا أن كلا من البيئة المنزلية والمدرسية تساعد الأخرى ، بما تضفيه من مزايا المشاركة ، والعمل بين الأفراد لتحقيق أهداف مرجوة ، فكل منهما يساند الآخر ، وبالتالى يساند الفرد . حقا ... إننا نظن أن التلاميذ اليابانيين يحسون شيئا من التوتر تجاه الامتحانات ، ولكنهم فى الواقع لايحسون بالتوتر نحو مستقبلهم البعيد ، وفى نفس الوقت .. فإن المعلم لا يألو جهدا فى سبيل التعرف على أسرة التلميذ وحياته الخاصة من خلال لقاءات متعددة ، وزيارات لأسر تلاميذه . وقد يشكو بعض المعلمين من ضغط بعض الأمهات على أطفالهن.. «لا تلعب كثيرا ... اجلس وذاكر دروسك ... هل أديت الواجب التى كلفت به من المدرسة ؟؟» وينصح المعلمون الأمهات ، بأن يتركن للمدرسة مهمة شحذ دافعية الطفل للتعلم والاستذكار وأداء الواجبات . وينسحب هذا الكلام على التلاميذ فى مختلف الأعمار ومن ذوى القدرات المختلفة . ومع كل هذا .. فإن حياة الطفل فى البيت تساند حياته فى المدرسة ، إلا فيما يتعلق بالتوترات التى تكونها الامتحانات ، إذ تحدث ضغوط من أولياء الأمور على أطفالهم فى نهاية المرحلة الابتدائية ، ليحققوا درجات عالية فى الامتحان تدخلهم مدارس إعدادية ذات مستوى عال ، يلتحق

خريجوها بمدارس ثانوية متميزة ، تتيح الفرص أمام خريجيها فى تفوق يدخلهم الجامعات المرموقة .

وقد سبق أن ذكرنا مدى اهتمام الأم اليابانية بابنها وعمله المدرسى .. فهى بحق مشتركة مع معلميه فى قلق الجميع على النجاح ، وفى جعل تجربة الطفل المدرسية تجربة ناجحة وسعيدة .

وقد سبق للمؤلفة أيضا أن حدثتنا عن دور الأم فى مساعدة أبنائها ، وعن دورها فى أداء الواجبات المدرسية ، وحرصها الشديد على تدعيمه توجيهه . واليوم يقول بعض المعلمين متسائلين : من الذى يحصل على درجات الامتحان ؟ هل هو الابن؟ أم هى الأم ؟

(٢-٧-١١) : صورتان

جميل من المؤلفة - قبل أن تنهى فصلها السابع وعنوانه المدرسة الابتدائية - أن تأخذنا فى زيارتين : الأولى أسرة طفل فى الصف الثالث الابتدائى ، والثانية لأسرة تلميذة فى الصف السادس . والمؤلفة تريد من هاتين الزيارتين أن تعرفنا بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التى يعيش فيها طفلان فى بيئتين بعيدتين عن طوكيو ، وهى بذلك تهدف - فى عرض ممتع إلى توضيح العلاقة المتلاحمة والفاعلة والمتبادلة بين البيت ، والمدرسة .

تعال معنا أيها القارىء إلى الزيارة الأولى .

(أ) جيرو ابن بائع البقول :

جيرو طفل الثامنة . تسكن أسرته فى أحد الأحياء الفقيرة اقتصاديا فى مدينة لوساكا ، وتتكون أسرته : من الأب ، والأم ، وجده ، المريض ، ولجيرو أخ يكبره وأخت تصغره. تعيش الأسرة فى شقة ملحقة بدكان هو مصدر دخل الأسرة . يبيع الأب فى هذا الدكان بقولا بعضها قد طهيه بعض الشىء وبعضها استنبته لفترة قصيرة ، وبعضها طحنه وعبأه كما يحدث عندنا فى حالات بيع (الفول النابت) وغيره . وللوالد ودكانه سمعة طيبة ، ومكسبه كاف لإعاشة أسرته عيشة مريحة . وباستثناء الجد المريض.. فكل أفراد الأسرة يشاركون فى أعمال هذا المتجر الصغير، فالأم تبيع أحيانا، ودائما تتولى حسابات البيع والشراء ، وتقف بدلا من زوجها عندما يستريح أثناء اليوم ، ثم هى صاحبة العلاقات العامة .. فهى تكثر من زيارات أصحاب الحوانيت القريبة ، وتؤكد الروابط معهم فقد تحتاج إليهم يوما ، وهى باسمة تكاد تعرف معظم عملاء زوجها ، ولكل هدية فى المناسبات ، كما لكل (زبون) جديد هدية لتوطيد العلاقة، ولكسب وده، مع ملاحظة أن الغالبية العظمى لهذه العلاقات نسائية.

أما جيرو صاحب الثمان سنوات ، فهو أصغر من أخيه الأكبر بثلاث سنوات ، ولوالديه تطلعات بالنسبة له ، فهما يريدانه تلميذا ، ثم طالبا متفوقا يدخل جامعة مرموقة ، ثم يتخرج فيها ليعمل فى شركة براتب طيب ومستمر . أماأخوه الأكبر فتعده الأسرة، ليتولى أمور المتجر بعد أن يكبر الوالد ويستريح ، فقد تولت هذا المتجر أربعة أجيال ، وله سمعة طيبة تجذب العملاء من أماكن بعيدة ناهيك عن سكان الحى . وفى خلف الحانوت .. حجرة كبيرة هى المخزن والمصنع الصغير الذى يعد الحبوب للتعبئة ، ثم البيع ، والأب ماهر فى إعداد البقول فقد ورث سر العملية من أبائه ، وأجداده ، وهو يعلمها أيضا لابنه الكبير . والزوجة مسئولة عن نظافة المكان صباحا ومساء ، تراعى أباها المريض ، وهى تعد الشاى ليكون جاهزا تحية لأحد العملاء ، وابنتها معها

فى كثير من الوقت تساعدها . أما جيرو .. فوظيفته الأساسية والمركز عليها أنه تلميذ فى المدرسة ، وهو يساعد أمه فى حسابات المتجر التى تستخدم فيها آلة العد التقليدية ، التى تصر الأم على أن يستخدمها ابنها جيرو إلى جانب القلم والورقة ، وإن كان فى المتجر جهاز كمبيوتر ، حديث العهد به ويحلو لجيرو التعامل معه ، مع عدم إغفال العد والحساب بالأسلوب التقليدى .

يذهب جيرو مع أخيه الأكبر إلى المدرسة الابتدائية القريبة من البيت ، وهو يحب دروس المواد الاجتماعية ، والعلوم ، ولكن تفوقه وتميزه يظهران فى دروس الرسم الذى يشغف به على غير رغبة أمه . وقد حدث أن كلف مع زميل له بعمل مشروع وكان تفوقهما فى عرض التقرير بالرسم واضحا ، للدرجة التى سمح لهما بعرض التقرير على ناظر المدرسة . وهذا فخر يعتز به أى تلميذ ، كما اعتز به والد جيرو ووالدته التى أشاعت الخبر السعيد بكل اعتزاز وتداولته ألسنة الجيران ، والعملاء . ولكن فى قلبى الوالد والوالدة تخوفا غير معلن ، فهما لايريدان جيرو رساما ، فهذه مهنة مستقبلها غير آمن ، وعندهما أمل أن يكون جيرو خريج جامعة ، موظفا له راتب معروف ويتزايد.

وكما هو مألوف فى المدرسة الابتدائية .. فإن معلمة فصل جيرو تكرس ساعة يوميا ، أو أكثر لتعليم اللغة اليابانية . وقد نجح جيرو - كغيره من تلاميذ الصف الثالث - فى تعلم قراءة وكتابة ٤٠٠ اربعمائة من أشكال الأبجدية ، ولكن هذا لايكفى لقراءة جريدة ، إذ يتطلب الأمر الإلمام بألف وتسعمائة (١٩٠٠) شكل .

أما بقية جدول جيرو فى المدرسة بعد اللغة .. فهو يتضمن مادة الحساب ولها أربعة دروس أسبوعيا ، بالإضافة إلى الوجبات المدرسية ، ثم العلوم والمواد الاجتماعية، تليها الموسيقى، التربية الفنية . ويخصص للتربية الرياضية من الوقت ما يعادل الوقت المخصص لكل من العلوم والمواد الاجتماعية . ومن الطريف هذا التشابه

فى عرض مقررات المواد الاجتماعية فى مصر واليابان ، فالبداية عن البيئة المحيطة وتتسع الدائرة ، مع تقدم الطفل فى صفوف الدراسة ، حتى يدرس المدينة والمحافظة والوطن ثم العالم . وكذلك الحال فى التاريخ ، حيث الاهتمام بالحاضر ثم يأتى الماضى تدريجيا .

ولعل القارىء يذكر مدرسة الجوكو ، ولم يكن جيرو وأخوه فى حاجة إليها فتحصيلهما جيد فى نظر المعلمين والوالدين ، ولكن الاحتمال كبير فى أنهما سيذهبان إلى الجوكو عندما يدخلان المدرسة الإعدادية ، ليتمكنا من الالتحاق بمدارس ثانوية متميزة ، وهو أمر أساسى بالنسبة لجيرو لأنه فى المأمول التحاقه بالجامعة . أما أخوه فهذا أمر يتعلق بالمكانة والفخر للوالدين لأنه حتى وإن كانت خطة الأسرة أن يكتفى الأبن الأكبر بالتعليم الثانوى ليتفرغ لإدارة متجر الأسرة ، إلا أن التحاقه بمدرسة ثانوية متميزة يعطى للأسرة كلها مكانة اجتماعية مرموقة .

(ب) توموكو على الحافة :

هى فتاة فى الصف السادس ، ونحن معها ، وهى تبدأ فصلا دراسيا فى النصف الأخير من آخر سنة فى المدرسة الابتدائية ، وذلك بعد أن عادت من أجازة مع زميلات لها نظمتها المدرسة لمنطقة ساحلية ، جوها بديع فى شهر أغسطس . توموكو ابنة لرجل أعمال كثير السفر ، فرضت عليه هى مناصب مرموقة كثير فى أوروبا ، ولكنه لم يقبل أيا منها ، لأن طفليه كبرا ، فتوموكو فى الثانية عشر ، وأخوها فى الثامنة وكان بود الوالد لو أنهما أصغر سنا حتى يقبل المنصب الكبير فى أوسلو ، أو المملكة العربية السعودية كما عرض عليه . أما الأم .. فهى زوجة متفرغة وربة بيت ممتازة ، تسد بجدارة كل الواجبات وزوجها يكاد يكون على سفر مستمر .

عادت توموكو لتبدأ الدراسة ، ومعها حصيلة الإجازة المتمثلة فى : مذكراتها خلال الإجازة ، مشروع فى مادة العلوم ، وكان عن « تجمع فراشات » ، بالإضافة إلى مقال كتبته عن رحلة الصيف .

مع أن توموكو تتمتع بصداقات كثيرة مع زميلاتها - وقد أمضت معهن فى المدرسة الابتدائية خمس سنوات تزيد نصف سنة - إلا أن لها فى كل عام دراسى صديقة واحدة متميزة فى صداقتها ، تعقبها فى السنة التالية أخرى تحتل مركز الصدارة فى الصداقة ، لكنها صديقة للكثيرات .

يبدأ فصل دراسى جديد وعلى كتفى توموكو مهام غير قليلة ، فهى عضو فى لجنة الكتاب السنوى الذى تصدره هذه المدرسة الابتدائية كل عام ، كما أنها من المبرزات فى فصلها ، وقد انتخبت (toban) أى ما يوازى عندنا (الألفة) لما لها من تميز فى النواحى الاجتماعية والأكاديمية . لكن كل هذا لايمنع أن تكون على قدم المساواة مع زميلاتها واللواتى عليهن مسئولية مسح ، وتنظيف الممرات ، وحجرات الدراسة فى الصف السادس . (بالتناوب مع غيرهن من فصول أخرى فى نفس الصف) ، كما أن عليها الاشتراك مع غيرها فى إعداد ، وتقديم وجبات الغداء ، وهن يرتدين مرايل وقبعات خاصة ، تختلف عن تلك التى ترتدى لكنس وتنظيف الحجرات ، إذ لايوجد بالمدرسة عمال تنظيف ، أو تقديم الطعام إنما يوجد طهاة فقط ، ولا توجد كافتيريا ، وإنما تنظم الأدراج فى حجرة الدراسة لتناول الوجبة . أما عمليات الصيانة الكبرى ، وإصلاح المعطل من المرافق .. فهو من مسئولية عمال متخصصين يأتون عندما يطلبون من إدارة المدرسة .

وعود إلى اليوم الأول بعد الأجازة .. نجد ناظر المدرسة مع المعلمين فى استقبال (التيرم الجديد) مع تلاميذه . وفى كلمات قليلة .. يفتتح الناظر هذا الفصل الدراسى بالترحيب والنصائح ، مشيرا ومؤكدا إلى أن تلاميذ وتلميذات الصف السادس هم قدوة لغيرهم ، فقد أمضوا خمس سنوات ونصف بهذه المدرسة ، وعلى ذلك .. فسلوكهم ملاحظ من غيرهم من التلاميذ .

وتمضى توموكو إلى فصلها مع زملائها ، ونستعرض معها جدولها الأسبوعى : اللغة اليابانية لها خمس حصص أسبوعيا ، وثلاث حصص أسبوعيا فى كل من : المواد الاجتماعية ، والرياضيات ، والعلوم ، والاقتصاد المنزلى ، والتربية الرياضية ، والموسيقى .

وعلى كتفى توموكو واجبات أخرى .. فهى تذهب مرتين أسبوعيا إلى مدرسة الجوكو . وعادة بعد أن تعود من مدرستها الابتدائية إلى البيت فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر .. تعود مرة ثانية ، فتخرج بعد نصف ساعة إلى الجوكو ، حيث تتلقى - مرتين فى الأسبوع - حصتين للتقوية فى مادة الرياضيات ، كما تحضر حصتين أسبوعيا لتعلم مبادىء اللغة الانجليزية التى ستبدأ تعلمها فى الصف الأول من المدرسة الإعدادية فى العام القادم .

تقول توموكو ...

ماذا حدث ؟ ولماذا هذا التجهم والجدية الزائدة على وجه معلم العلوم ، ومعلمة المواد الاجتماعية ، وناظر المدرسة ، وقد اجتمعوا مع تلاميذ وتلميذات الفصل ، حيث ران صمت مطبق - عدة دقائق - ثم بدأ كلام الناظر وبعده المعلمة ، ثم المعلم ، ثم نودى على أحد التلاميذ وعلى تلميذ آخر ... وساعة ، أو أقل من كلام واعتذارات ونصائح، فقد أهان تلميذ من زملائى تلميذا آخر ، وكلاهما فى نفس فصلى ، وكانت أم أحد المتخاصمين كورية الجنسية ، وكانت من ألفاظ الإهانة سب الأصل العرقى ، وتصالح التلميذان ، وعادت الأمور إلى مجرياتها وكذلك الابتسامات .

ويأتى يوم السبت ، وبعد ظهره .. تذهب توموكو إلى جيمنازيوم لتمارس رياضة بدنية هى فى غالبيتها تمرينات سويدية ، وترتدى بدلة خاصة للتدريب ، ويشترك فى هذه التمرينات بعض الزملاء ، وزميلات المدرسة ، بل انك ترى معلمة المواد الاجتماعية ومعلم العلوم ، ومعلمة أخرى تدرس الرياضيات ، وإداريين من

المدرسة ، وغيرهم ، وكلهم فى ملابس التدريب ، فلا تفرق بين معلم مادة كذا عن معلم مادة أخرى ... ولتوموكو هدف آخر من هذه التمرينات ، فهى تستعد للمسابقات بين المدارس والمناطق التعليمية والتى سوف تجرى فى شهر مارس القادم ، وهى تمنى نفسها بإحدى البطولات.

أن تذهب توموكو إلى الجوكو وإلى الجيمنازيوم فهذا عمل من عندياتها ، ووالدها ووالدتها يشجعانها ... المقصود هنا الآتى :

ليس كافيا أن تفعل أقصى ما تستطيع ، ولكن بمزيد من بذل الجهد - وفى الاتجاه الصحيح - يمكن أن تتجاوز كل المستويات ، بل والأرقام القياسية .

وتمضى توموكو ساعة وبعض ساعة - مساء كل يوم - أمام التليفزيون ، خاصة عندما تعرض على الشاشة برامج عن أغنيات شبابية جديدة ، كما تحرص على أن تكون مع والديها ، خاصة فى أمسيات إجازات والدها . وتمضى توموكو أيام الإجازة الأسبوعية غالبا مع بعض صديقاتها ، وهن يرتدن المحلات الكبيرة ، مستطلعات الجديد من الأسطوانات وموضات الملابس ، وتلك السلاسل للمفاتيح ، وحقائب الكتب ، والأحزمة وغيرها ، مما يرضى أذواق البنات فى سنها (٨) .

ولاتهتم توموكو مثل من فى سنها - فى الولايات المتحدة الأمريكية - بالجنس الآخر، فليس لها أصدقاء ذكور ، والمساحيق لم تعرف الطريق إلى وجهها ، ولكن الأولاد هم مجرد زملاء لها فى الفصل ، بل أحيانا كما تقول صديقاتها أيضا : هم مصدر إزعاج ومضايقة . وكما يقول بعض الأمريكيين .. فإن المراهقة عند اليابانيات تأتى متأخرة ، بل قد لا تأتى . وكما يقول توماس رولن Thomas Rohlen .. فإنه يشار إلى تلاميذ المرحلة الثانوية بتعبير «أطفال المدرسة الثانوية» (Kodomo) ، فى حين أن نظراءهم فى مثل أعمارهم يطلق عليهم فى أمريكا طلبة

المدرسة الثانوية ، مع العلم بأن فى اللغة اليابانية توجد كلمة معناها طلبة ، وكلمة معناها شباب ، يمكن أن تحل محل كلمة «أطفال» ، فطالما الفرد موجود فى المدرسة (قبل الجامعة) فهو طفل [٩].

وفى الغد القريب .. ينتهى هذا الفصل الدراسى ، وتنتهى سنوات المدرسة الابتدائية الستة ، وسوف تذهب توموكو إلى مدرسة "Yumior High School" ، إعدادية قريبة من سكنها ولكنها ليست متميزة ، ثم ستلتحق بفضل تفوقها ، ومساندة والديها بمدرسة ثانوية تأمل أن تدخل بعدها الجامعة .

غدا وبعد أسابيع .. تترك توموكو جو المدرسة الابتدائية المشبع بالعمل الجماعى وانسجام الطفل مع المجموعة ، وتترك المدرسة التى أسمتها «أسرتى» ، إلى وسط تربوى فيه العلاقات مختلفة ، والمقررات التى تدرس أكثر وأعمق ، تترك هى وزميلاتها مكانا وفترة من حياتهن ، مسبقة بعوامل الانسجام والتعاون ، والألفة فهى عوامل لها قيمة أكبر بكثير من عامل التنافس .

وأمام توموكو ست سنوات دراسية منها : ثلاث سنوات إعدادية ، تليها ثلاث سنوات تعليم ثانوى "Senior High School" ، وكلها (أى الست سنوات) عمل جاد ، وامتحانات توصف بأنها «متحدية» هذا فى أحسن أساليب الوصف ، وفى أسوأها.. توصف بأنها جحيم يكتسح وقد يهلك ، والأكثر خطورة أن خلال هذه السنوات الستة ترسم وتحدد خريطة مستقبل الفرد .

الفصل الثامن

المدارس الثانوية (*)

(٢-٨-١) : مقدمة

يحلو للسيدة ميرى هوايت المؤلفة الأمريكية أن تقارن فى هذا الفصل - كما فعلت فى فصول سابقة - بين التربية فى اليابان ، وبين التربية فى بلدها الولايات المتحدة الأمريكية . وهى هنا تبدأ هذا الفصل بخطاب من طالبة أمريكية أرسلته إلى جريدة تسأل النصيحة وهى تقول إن ابويها يسيئان معاملتها ولا يحققان مطالبها - وإنها طالبة فى مدرسة (إعدادية) تبلغ من العمر ١٣ ربيعا - وذلك مع أن تقديراتها فى المدرسة ليست ضعيفة جدا ، بل هى مجرد أقل من المتوسط (٤١) ، والطالبة غاضبة ويائسة من معاملة والديها . وكان

(*) للأمانة نعرض ما كتبته المولفة فى هذا الفصل ، وللأمانة العلمية نقدم لعينى وعقل القارىء - فى نهايته- آخر التطورات التى حدثت للتعليم الثانوى اليابانى كما وصلتنا ، وهى تطورات جديدة فى ميادنها. وقد رأينا ضرورة إضافة جداول خطة الدراسة ، والتى لم توردها المؤلفة .

رد الصحيفة أن عليها ألا تيأس ، بل تعمل على تحسين درجاتها فى المدرسة ، فترضى والديها حتى تحقق مطالبها [١] .

وتعد المؤلفة بأنها فى الصفحات القادمة ، سوف تكتب عن المدرسة الثانوية الأمريكية كما تراها عيون يابانية ، وكما ترى هى ، أى المؤلفة ، المدرسة الثانوية اليابانية فى إطارها الثقافى .

تعلق المؤلفة على خطاب الطالبة الأمريكية قائلة : إن شكوى هذه الطالبة ، ورد الصحيفة عليها شىء غريب ، غير مألوف حدوثه فى اليابان فى محتواه ، وإن كان يحدث من ناحية الشكل . ولكن الغريب هو ما اشتكت منه الطالبة وما نصحت به الصحيفة .

وتستطرد المؤلفة وهى تحلل الشكوى والرد فتقول .. إن هذه الطالبة لا تحقق فى أدائها المدرسى إلا القليل مما تستطيعه، ويظن أبواها أنها - بتحجيم ما تفعله وحرمانها من بعض المتع والرغبات - سوف تحقق أداء مدرسيا أفضل . ولم تطلب الطالبة إلا أمورا تفرضها مرحلة نموها فى بيئتها ، فهى تريد الاستماع إلى الموسيقى الدارجة، وتجلس أمام التليفزيون، وتلهوا لهوا بريئا مع صديقاتها، وهى أمور عادية متوقعة إن هذه الطالبة - فى الحقيقة - تفتقد الدافعية للتحصيل الدراسى، بل هى واحدة من الأغلبية الكبرى من تلاميذ وتلميذات فى مثل سنها فى المدارس الأمريكية.

ومن الملاحظ أن رد فعل الطالبة على موقف والديها هو أيضا متوقع ، فهى غاضبة ، ومن وجهة نظرها تشعر أنها أكبر سنا من أن تعامل هذه المعاملة ، فهى قد بلغت الثلاثة عشر ربيعا . ومن حقها إلا تعاقب بالحرمان مما تفضله ، وأن تكون لها حرية الاختيار ، فهى فى نظر نفسها لم تعد طفلة .

وتنتقل المؤلفة إلى رد الصحيفة الذى نشر تحت عنوان : «مجهود أكثر ، درجات أعلى، تتحقق مزايا أفضل». وللوهلة الأولى .. سوف نعتقد أن أولياء الأمور اليابانيين يعجبهم العنوان والرد ، لأن الصحيفة وقفت فى جانب ولى الأمر . ولكن كان الرد يحاول مساعدة الطالبة فى الوصول إلى رغباتها من ملذات ، وحريات ، ... إلخ . وهذا أسلوب معروف فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث يساوم الأطفال آباءهم بالنجاح ، وتحقيق التقديرات العالية فى المدرسة مقابل حصولهم على ما يريدون من مزايا فى الأسرة ، وهذا واحد من أساليب إثارة الدافعية عند التلاميذ الأمريكيين .

فى الجانب اليابانى ... يرى ولى الأمر أن ذهاب الطفل إلى المدرسة أمر مهم له (أى للتلميذ) ، وهم يتوقعون منه أن يتحمل مسئولية العمل المدرسى كدليل على نضجه . والبيت اليابانى يساند المدرسة ، والمدرسة تساند البيت ، وهذا يعنى أن غضب طفل من البيت لا يسقطه على عمله فى المدرسة ، كما أن العمل المدرسى ليس موضوع مساومة بين الطفل ووالديه . وبمعنى آخر ... فإن نجاح الطفل وتحقيقه درجات عالية فى المدرسة لا يعطيه - بالضرورة - حقوقا ومميزات فى البيت ، فالدرجات ليست عملة يشترى بها رغباته من الأسرة .

وتؤكد المؤلفة أن العلاقة بين البيت اليابانى والمدرسة الثانوية ليست علاقة عداء، أو أن المدرسة ساحة قتال . وفى قياس للاتجاهات .. أجرى على أطفال من دول كثيرة ، أظهرت النتائج أن اليابانيين هم الأكثر حبا لمدارسهم وإقبالا عليها ، فالتلاميذ اليابانيون معجبون بما فى مدارسهم من أنشطة تلائمهم فى جو مدرسى يرضيهم . كما أن التلاميذ اليابانيين يريدون بكل صدق تحسين أدائهم وتجويده . وبالطبع .. فهناك أعداد محدودة لا تريد الذهاب إلى المدرسة ، وهؤلاء تتابعهم التعليقات الساخرة فى وسائل الإعلام ، وتلاحقهم النكات والرسوم الكاريكاتورية . أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فأعداد المتسربين نسبيا أكثر ، ولكن الاهتمام الإعلامى بهم أقل ، لأن اليابانيين أكثر حساسية من الأمريكيين إزاء التسرب من المدرسة الثانوية .

(٢-٨-٢) : مشكلات يابانية ومعالجتها

ومع ذلك .. فهناك مشكلات تعانى منها كل من المدرسة الثانوية اليابانية والأمريكية .. فمثلا هناك «حالات رفض المدرسة» ، يكثر النقاش عنها : اليابان ، حيث تنعكس أحيانا فى صورة أعراض مرضية عضوية على بعض التلاميذ كآلام المعدة مثلا ، فيسمح لهم عندئذ بالتغيب عن المدرسة ، وأحيانا يمتنعون عن الذهاب (يزوغون) بدون عذر .

وتكشف دراسة مرجريت لوك Margaret Lock [1] إن الغياب لفترات طويلة فى المدرسة الإعدادية خلال عام ١٩٨٢ ، بلغت نسبته ٣٦ر٠٪ من مجموع تلاميذ تلك المرحلة . ومع ذلك ... فإن الموجهين النفسيين والمربين والمعالجين النفسيين يرون أن حالات رفض الذهاب إلى المدرسة ، هى تعبيرات نفسية تدل على انحراف ، ويكون هدف المعالجين - حينئذ - إعادة هؤلاء الرافضين إلى المدرسة . كما أظهرت دراسة د. لوك أن معظم اليابانيين يعتقدون أن المشكلة تنبع من التحول من نظام الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية ، والتى فيها التفانى المبالغ فيه من جانب الأمهات نحو أولادهن ، كما وجدت مارجريت لوك أن معظم الرافضين كانوا من بين أصحاب التحصيل الدراسى المنخفض . ويرى بعض الخبراء اليابانيين أن السبب يكمن فى «الغذاء» ، فاللحوم المملحة المجففة (Junk food) ، والتى يكثر أكلها تسبب خمولا ، وكسلا وبلادة ، وإرهاقا عصبيا عند بعض التلاميذ .

وفى دراسة أجريت فى الولايات المتحدة .. ثبت أن نوع الغذاء يؤثر فى سلوك الفرد ، فمثل تلك الأطعمة المملحة ، والمكونة من بقايا لحوم متنوعة وتوابل حريفة ومواد أخرى تسبب نشاطا متزايدا غير مرغوب فيه عند الأطفال ، حيث قد يؤدى إلى أعمال عدوانية وسلوك لايمكن التحكم فيه . فبينما يخاف اليابانيون من الخمول والكسل يخاف الأمريكيون من النشاط المبالغ فيه .

وثمة مشكلات أخرى يسببها قلة من التلاميذ اليابانيون تتمثل فى العنف الشديد ، والذى قد يوجه ضد المعلمين فى المدرسة ، أو ضد الوالدين فى البيت . وقد حدث أن هجم تلميذ فى الصف الثالث الإعدادى على معلمه ، مما أدى إلى قتل المعلم . إحصائيا .. هذا حدث نادر الوقوع ، ولكن وسائل الإعلام تناولته بالتضخيم - وتروى المؤلفة عن حالة أخرى أكثر ندرة ... عند تلميذ يابانى كان مع والديه فى الخارج لفترة طويلة، وأعاداه إلى اليابان ، ليعيش مع عمه وعمته ويلتحق بالمدرسة الإعدادية . ولكن التلميذ لم يستطع أن يتوافق مع الجو المدرسى بما يتطلبه من التزامات وتوقعات لم يعهدها وهو فى الخارج ، وانتهى به الأمر إلى قتل عمه وعمته . وهذه الحالات توصف بأنها فردية مرضية ، ولا تشكل ظاهرة مقلقة ، ومع ذلك فالباحثون يدرسونها ، والرأى العام يهتم بها .

تعتبر ظاهرة الانتحار بين الطلبة اليابانيين من أكثر الظواهر حساسية ، وترجعها الصحافة إلى آثار الضغوط التربوية . وإلى عهد قريب .. كانت أسباب انتحار التلاميذ ترجع - فى معظم الأحوال - إلى فشلهم فى الامتحانات ، خاصة بين المتطلعين لدخول الجامعة . ولكن أعداد المنتحرين بدأت تقل فى السنوات الأخيرة بين أفراد الفئة العمرية من ١٥ إلى ٢٠ سنة . وفى نفس الوقت .. كانت نسبة المنتحرين فى تلك الفئة العمرية فى الولايات المتحدة ٥ر١٢ فى كل ١٠٠ر٠٠٠ ، وكانت فى اليابان ٨ر١٠ فى كل ١٠٠ر٠٠٠ ، وذلك منذ عام ١٩٨٠ ، أى إن النسبة كانت أعلى فى أمريكا . وواقع الأمر - كما تثبته الدراسات اليابانية - فلا توجد علاقة ثابتة بين عدد الوفيات بين التلاميذ اليابانيين وبين جحيم الامتحانات .

ولا يجد الأمريكيون علاقة بين الضغوط المدرسية ، وعدد المنتحرين بين تلاميذ المدارس الثانوية ، ويعزون الأسباب - عادة - إلى عوامل نفسية ترتبط بظروف أسرية. ولكن فى اليابان .. تحتل الأسباب المرتبطة بالامتحانات مكان الصدارة ، تاركة

العوامل النفسية والأسرية فى المؤخرة البعيدة . على أن ضغوط الرفاق دخلت كعامل له أهميته فى أسباب الانتحار فى السنوات القليلة الماضية .. فإن استبعاد تلميذ من شلة الرفاق ونبذه بعيدا عنهم قد يدفعه إلى الانتحار ، وقد لاقى هذا السلوك أهمية كبيرة فى الصحافة ووسائل الإعلام اليابانية . إن سلوك النبذ والاستبعاد هذا قد يكون وقتيا ، وقد يمر ببساطة لأنه يكون على سبيل الفكاهة فى بعض الأحيان ، كما يحدث فى بريطانيا مثلا ، عندما ينضم تلميذ جديد إلى جماعة فى المدرسة ، أو فى القسم الداخلى ، ويدبر له زملاؤه مقلبا على سبيل الترحيب المزاحى وقد يكون فيه شىء من المبالغة ، وعليه أن يتقبل الموقف (برجولة) . ويحدث هذا كثيرا فى مدارس ثانوية كبيرة وشهيرة فى طوكيو مثل مدرسة ايشيكو Ichiko [١] .

وتقدم المؤلفة نموذجين : أحدهما لطالبة فى المرحلة الإعدادية شنقت نفسها لكثرة ما عانت من مضايقة زميلاتها ونبذهن لها ، والنموذج الثانى عن تلميذ فى الإعدادى أيضا ضايق زميلين له ، فضرباه بآلة حادة حتى الموت . وقد ضخمت وسائل الإعلام الحادثتين الفريدتين ، وإن كانت حالات النبذ والاستبعاد والتى تأخذ طابع (الهزار الثقيل) موجودة فى بعض المدارس اليابانية .

أقلقت هذه الظاهرة المحدودة المربين اليابانيين كثيرا ، وفى إحصائية رصدت ٥٣١ حالة فقط فى ١٥٠٠٠ مدرسة إعدادية وثانوية (middle and high schools) ، وكان ذلك عام ١٩٨٤ ، وهذه الـ ٥٣١ حالة ، والتى تمت فى عام دراسى كامل فى اليابان - أقل بكثير مما يحدث فى المدارس الأمريكية ، ففى بحث مقارن بين المدارس الإعدادية (Junior High) فى أمريكا واليابان .. ظهر أن ٥٨٪ من تلاميذ المدارس الأمريكية يتعرضون لهذه المضايقات من زملائهم ، وذلك مقابل ٤٠٪ من تلاميذ المدارس اليابانية [٤] . ومن بين ٤٠٪ هذه .. انتحر سبعة تلاميذ بسبب الإهانات النفسية واللفظية التى نالوها من زملائهم . ومن الجدير بالذكر أن تلك

الحالات قليلة الحدوث ، ومع قلتها فهى مهمة فى رأى بعض المربين الذين يعيبون على بعض معلمى المدارس الإعدادية امتناعهم عن التدخل فى منازعات التلاميذ ، خوفا من أن يصابوا هم انفسهم . فى الوقت الذى تقول فيه المؤلفة الأمريكية أن المدرسين الأمريكيين كثيرا ما يتدخلون، كما أن هذه الحالات تحدث أيضا بين التلميذات ، وليست قاصرة على البنين فقط - وهذا أمر مؤسف .

كتبت إحدى الجرائد اليابانية الكبيرة واسعة الانتشار تبين مسئولية النظام التعليمى فيما يحدث من مشكلات فردية بين التلاميذ ، فالنظام المدرسى يدعو إلى الارتباط والتجانس ، ولكن الأقوى فى حالاتنا هذه يضطهد ويعذب الأضعف . فالأقوياء لابد لهم من الارتباط والتجانس مع غيرهم فى المدرسة (هكذا ينص النظام المدرسى) ، ولكنهم أمام زملاء ضعاف ، وعليهم أن يجعلوهم متجانسين مع المجموع ، فيستغلون قوتهم ضد ضعف الآخرين . وتصف جريدة أخرى ، هى Far Eastern Economic Reuiew المشكلة بطريقة أخرى فتقول : إذا كان الخضوع للتوازم والانسجام والارتباط قد فرض - دون اقتناع داخلى - عند بعض التلاميذ فى سن البلوغ والمراهقة.. فإنه يتحول إلى ضغط يبحث عن متنفس ... ويجد هؤلاء متنفسهم فى زملاء لهم يبدون ، وكأنهم خارج المجموعة ، ويحتاجون لمن يؤدبهم [٥] .

ويمضى بعض التربويين والنفسانيين .. فيحللون شخصيات (الضحايا) ، وهم الذين شذوا عن غيرهم ولم يرتبطوا معهم ولم ينسجموا وإياهم ، وعادة هؤلاء من بطيىء التحصيل ضعاف الشخصية ، مما يثير زملاءهم الأقوياء فتكون الاعتداءات . وكان يجب على التربويين والنفسانيين أن يحللوا شخصيات (المعتدين) أيضا .

وتثير المشكلة قلقا عاما فى اليابان إلى الدرجة التى لاتخلو النشرة الإخبارية الرئيسية فى التليفزيون يوما من أخبار حوادث الاعتداء ، وأين تحدث ومعلومات عن المعتدين والضحايا ، مصحوبة بصور ورسوم بيانية كما يحدث فى النشرة الجوية .

وقد حدث أن إحدى الشركات فى مقاطعة يابانية أصدرت شهادات تأمين ضد هذه الاعتداءات ، ولكن المجلس المحلى رفضها بحجة أن هذا العمل فيه حماية للمعتدين . ونظرا لاهتمام وسائل الإعلام بالمشكلة .. فقد شكلت وزارة التربية والتعليم لجنة لدراسة الموقف وإجراء بحث واسع متعمق عن هذه القضية .

وعند دراسة هذه المشكلة .. لابد أن يرد موضوع الامتحانات وجحيمها ، فعلى التلميذ اليابانى أن يجتاز مجموعة امتحانات صعبة فى نهاية المرحلة الإعدادية ، كشرط لقبوله فى المرحلة الثانوية ، ثم عليه أن يجتاز مجموعة أخرى من الامتحانات الصعبة جدا فى نهاية المرحلة الثانوية ، كشرط لقبوله فى الجامعة . والغريب أن نسبة الانتحار تزيد بين تلاميذ المرحلة الاعدادية عنها بين تلاميذ المرحلة الثانوية ، مع أن ضغوط الامتحان تكون فيها أعلى . وهذا يطرح على الباحثين سؤالا مهما :

ما العوامل الأخرى - غير الامتحانات - التى قد تتدخل ؟ يرى بعض المعلقين أن جحيم الامتحانات هو - بلا شك - مصدر مهم للقلق الانفعالى ، ولكن رأيهم مقتضب ويتصف بالعمومية . لماذا ؟ لأن أية مناقشات عن الامتحانات تتطلب بالضرورة مناقشة النظام التربوى الذى يعتمد - فى أسسه - على الاختبارات ، كأداة للتقييم والاختيار والمفاضلة لا مناص منها ولا فكاك عنها . وعلى العموم ... فعند النظر إلى المشكلات التى تجابه التلاميذ اليابانيين وأولياء أمورهم فى البيت ، أو فى المدرسة بإن استجابة المجتمع اليابانى تؤكد أن تلك المشكلات هى نتيجة قصور شخصى عند الفرد ذاته ، وليس قصورا مجتمعيا ، أى من المجتمع .

(٢-٨-٣) : مقارنات

تقول المؤلفة وهى تشير إلى شكوى الفتاة الأمريكية إلى الصحيفة ، وإلى حادثة انتحار التلميذة اليابانية أنهما كانتا مراهقتين . وكانتا تلميذتين فى المدرسة الإعدادية ، فى مؤسسة تعليمية تحاول أن تساعد المتعلمين لاستخدام قدراتهم وإمكاناتهم فى الحياة . ثم تسأل المؤلفة : هل أخطأت المدرستان (الأمريكية واليابانية) الطريق لتحقيق أهداف المراهقين ، بحيث خلقتا توترات ، جعلت الدافعية والطاقة والنشاط - وحتى الحياة نفسها - فى خطر ؟ وهل تختلف المشكلات اليابانية عن المشكلات الأمريكية ؟

يميل الأمريكيون إلى الاعتقاد بأن الأطفال اليابانيين مطاردون بشبح الامتحانات ، إلى الدرجة التى تجعل أولياء الأمور والمعلمين يلحون عليهم بالاستذكار دون توقف ، بحيث لايجد التلميذ اليابانى فرصة لأن يلعب ، وربما لكى ينام !! إن التلاميذ اليابانيين فى حالة استذكار وتحصيل مستمرة ، حتى أصبحت يقظتهم ونومهم مجموعة من الأسئلة الامتحانية : أن يختار من متعدد ، أى يختار الإجابة الصحيحة من بين مجموعة عبارات ، أو كلمات ، أن يكمل جملة ناقصة ، أن يبين إذا كانت هذه العبارة خطأ أم صوابا ... إلخ . الأسئلة تطارده يقظا ، أو نائما . هذا ما يعتقده الأمريكيون ، ويضيفون أن التلاميذ اليابانيين قد أصابهم الضرر من كثرة الضغوط ، منهم فى أحسن الأحوال موسوسون ، وفى الأسوأ منتحرون . مرة أخرى هذا ما يعتقده الأمريكيون .

(٢-٨-٤) : الامتحانات

ولو أن الامتحانات - كأنظمة - لها جذور فى الماضى وتوارثتها أجيال بعد أجيال ، إلا أنها تعتبر فى اليابان الحديثة دليلا على سيادة المساواة . وقد أخذ اليابانيون عن الصينيين - منذ قرون طويلة مضت - أسلوب الامتحانات الذى كان متبعا لاختيار الموظفين المدنيين فى حكومات أباطرة الصين [٦] . وكان تولى المناصب العامة فى الصين يتم عن طريق النجاح فى الامتحانات التى كانت تتدرج فى صعوبتها ، بمعنى أن الامتحان الذى ينجح فيه فرد ، ليعين فى منصب مدنى بالعاصمة ، لابد أن تسبقه امتحانات كثيرة على مدى سنوات نجح فيها كلها ، ثم عليه أن ينجح فى ذلك الامتحان . وأشد هذه الامتحانات صعوبة تلك التى كانت تعقد فى مبنى كبير جدا ، يشتمل على عدة مئات من الحجرات ، يبقى الممتحن فيه ١٣ يوما خاضعا لامتحانات قاسية ، ويعرف هذا المبنى باسم (غابة الأقلام) . نسبة النجاح حوالى ١٪ من عدة مئات من المتقدمين ، ويتولى الناجحون المناصب الحكومية الإدارية المرموقة فى العاصمة .

ولم تكن الامتحانات فى اليابان (كما كان الحال فى الصين) متاحة للجميع ، حتى جاء العهد الميجى ، وأتيحت الفرص لكل من يريد الجلوس للامتحان ، حتى يثبت وصوله إلى مستوى معين من الكفايات . ويبرر اليابانيون هذا الإصلاح فى نظام الامتحانات بأن المسئولين يريدون اختيار أكثر المواطنين كفاءة وقدرة على تولى الوظائف . كانت السلطات اليابانية حريصة على أن تعين ذوى المواهب البارزة والقدرات العالية ، فهى دولة أصبحت فى ساحة المنافسة مع غيرها من الدول ، وهى منافسة تتطلب التميز والتحدى . وقد عرفنا اليابان - فى فصول سابقة - بأنها بلد الندرة والحساسية ، وأنها معرضة للكوارث والأخطار ، لذلك سادت (عقلية الجزيرة) ، أى الندرة فى المواد الطبيعية مع العرضة المستمرة للمخاطر . ولأنهم يعتقدون بتميزهم

وفرديتهم .. فقد هبطت جزرهم من السماء ، كما أن الأباطرة مقدسون من سلالة آلهة ... أدت تلك الأحاسيس المختلفة إلى رغبة عارمة لحتمية اللحاق بالعالم المتقدم .

وقد عرفنا سابقا أن اليابان انغلقت على نفسها ، حتى جاء أسطول أدميرال بيرى فى ١٨٥٣ ، لتخرج اليابان من عزلتها ونظامها المركزى المتحكم . ولكن الانفتاح على العالم المتقدم - ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية - أشعل الرغبة فى التغيير، وكان عهد ميجى من ١٨٦٨ بداية الانطلاقة .

لقد سبقت مصر اليابان منذ الربع الأول - من القرن التاسع عشر - فسافرت أعداد ، أرسلها محمد على باشا إلى فرنسا وإيطاليا وغيرهما فيما بعد ، وذلك بعد أن جاء بونابارت إلى مصر ، وخرج منها تاركا ما نبه المصريين إلى أن هناك نورا وعلما جديدين فى الغرب . ولكن مجهودات محمد على - ومن بعده - لم تكن رغبة فى تنوير الشعب وتعليمه ، فأقفلت المدارس وانخفضت أهمية التعليم ، ثم عاد الاهتمام به فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر .

اعترف اليابانيون (أيضا فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر) ، كحكومة وكشعب بالدور الذى تلعبه التربية حتى تلحق اليابان بذلك التقدم المثير فى أمريكا وأوروبا . كما أعترف بأن التقدم لا يتم إلا على أيدى قوى بشرية قادرة على تحقيقه ، فقد انتهت عزلة اليابان وكان عليها ، إذا أرادت مكانا مرموقا تحت الشمس ، أن تقبل التحدى . تساءلوا عن هذه القوى البشرية ، وهل يعين فى المناصب الحكومية المهمة الأقارب والأصهار على حساب المصلحة العامة ؟ أم يكون هناك أمل وتفاؤل أمام أى شاب قادر ، ليرقى وليرقى المجتمع ويتقدم به ويتقدم معه ؟

إذن ... فالتربية بوسائلها وإمكاناتها البشرية والمادية قبلت التحدى ، والساحة رحبة ومفتوحة أمام الجميع . ثم يبقى السؤال : كيف نحدد من هو الأكفأ والأقدر ؟

لابد من قياس عادل سليم يتساوى أمامه الجميع ، والعبرة بالنتيجة . حقا ... أخذ اليابانيون نظام الامتحانات الصارم من الصين منذ قرون ، واقتنعوا بجدواه وضرورته وأهميته .

وعود إلى كلام المؤلفة ... فهى تقتبس من رونالد دور Ronald Dore [٧] قوله إنه يرى أهمية ما فعلته اليابان لتحديثها عندما كانت دولة تحاول أن تنمو ، ولكنها محاولة جاءت متأخرة . ومما ساعد على إنجاح هذه المحاولة أن اليابانيين كانوا فعلا قد اقتنعوا بأهمية التربية وضرورتها فى حياة معظم أفراد الشعب ، مما دفعهم إلى الإقبال الحماسى لتحسين أنفسهم بعد أن تلاشت المحسوبية وتعيين الأقارب . وساد التفاؤل فى مستقبل وظيفى قائم على العدل والتميز الحقيقى .

ونظرا لأن التعليم الثانوى ليس اجباريا .. فإن الالتحاق به ليس سهلا أمام جميع خريجى المدارس الإعدادية ، بل إن هناك أنواعا ومستويات من المدارس الثانوية، يتوقف القبول فى كل على درجة النجاح فى امتحانات الانتقال من المدرسة المتوسطة (الاعدادية) إلى المدرسة الثانوية ، مما تولدت عنه ضغوط لضرورة اكتساب مهارات اجتياز الامتحانات . وتضم المدارس الثانوية "Senior High School" ٩٤٪ من مجموع التلاميذ ممن أتموا التعليم الإعدادى "Junior High School" ، أو ما يسمى أحيانا المدرسة المتوسطة "Middle School" ، وهؤلاء يبدأ سباقهم لتحديد مستقبلهم منذ الصف الثانى الإعدادى ، وحتى قبل ذلك بالنسبة للبعض .

وتعتبر المدرسة الإعدادية ، وتلميذها فى سن الثانية عشرة تقريبا ، وسطا تربويا يختلف عما عهدناه فى المدرسة الابتدائية ورياض الأطفال ، وبالنسبة للتلميذ نفسه .. فإنه يشعر بتحول مفاجىء فى نوع المعاملة التى تعود عليها من قبل بما كانت تحويه من مشاعر الحنان وعدم التفرقة إلى مناخ تعليمى ، يركز على بذل الجهد والإنجاز ، الهادف للالتحاق بالمدرسة الثانوية . يطلب من تلاميذ المرحلة الإعدادية -

على عكس ما كان فى المرحلة الابتدائية - ارتداء زى مدرسى موحد ، ويفخر التلاميذ بهذا الزى لأنه يرمز إلى الدراسة الجادة والمسئولية . ولكن هذا التحول صعب بالنسبة لكثيرين منهم ، مما يسبب مشكلات نفسية ، وضعف التكيف والانسجام الاجتماعيين، بل قد تحدث حالات من انحراف الأحداث والمراهقين ، خاصة بين تلاميذ الصف الثالث .

ومع ذلك ... فإننا نخطىء إذا تصورنا إن كل التلاميذ اليابانيين يكتوون بجحيم ونار الامتحانات كما تصورها وسائل الإعلام الأمريكية واليابانية ، كما تقول المؤلفة ، التى تقدر نسبتهم بحوالى ١٠٪ من مجموع التلاميذ فى المدرستين : المتوسطة والثانوية . وهذا لايعنى أن الـ ٩٠٪ يأخذون الأمور ببساطة ، ولكن الاختلاف فى مستوى الطموح ، فالكل ملتزمون وشاعرون بارتباطهم وواجبهم إزاء عملية تربيتهم وتعليمهم .. بمعنى أن الـ ١٠٪ لهم آمال عالية جدا ، وهؤلاء هم المتطلعون إلى أعلى الجامعات تميزا وشهرة ، وهم ليسوا بالضرورة من أبناء الصفوة الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، أو السياسية ، ولكنهم غالبا متميزون بتفوقهم الدراسى وذكائهم الخارق ، أو بمجهودهم الزائد الواضح فى التحصيل الدراسى .

وتهتم وسائل الإعلام بهؤلاء التلاميذ الذين يبذلون الجهد فوق الطاقة ، وفى نظر المراقبين الأجانب .. فإن هؤلاء هم الذين يحققون نجاحات الاقتصاد والإنتاج اليابانى ، وقد يبدو لنا أن مجهودهم فوق طاقة البشر أو هكذا نقنع أنفسنا لنهرب من التضحية بأنفسنا على مذبح التحدى .

وهناك فئة من التلاميذ تقع عليهم ضغوط هائلة ومستمرة من أولياء الأمور وغيرهم ، لكى يرتفعوا إلى مصاف المتميزين ، وهناك فئة أخرى لاتجد التعضيد والتشجيع اللازمين . ويكون إحباط بعض من هاتين الفئتين شديدا ، تتحطم آمالهم أمام أعينهم ، فينتحر بعضهم .

وتعقد الامتحانات فى شهر مارس ، وتكتظ وسائل الإعلام بأخبار كثيرة ومثيرة، وإشاعات ، وحكايات ، ومبالغات وتخويفات ، وتعميمات عن التلاميذ وحيواتهم وفرصهم . المجتمع كله يترقب ويراقب ، وينتظر ويتوقع النتائج ، وتظهر على صفحات الصحف - صور بعض الأمهات - وهن أمام قاعات الامتحان ، ينتظرن والقلق مجسم على الوجوه ، مع قصص عن أزمة الامتحانات والمواقف المأساوية التى سببتها ، وللصحفيين أسلوب مثير .

وتذكر المؤلفة قصصا (هى قصص فردية) عن حالات قلق شديد ، وانهيار عصبى ، وتبول لاإرادى ، ونقل تلميذ على نقالة إلى المستشفى ، وهياج ولى أمر كان ينتظر خروج ابنه من قاعة الامتحان ، واعتداء على مراقب اللجنة ... والصحف والمجلات مستعدة تماما بالكاميرات والأخبار للنشر وتضخيم ، وتعميم تلك الحوادث القليلة جدا والفردية . ومن أمثلتها :

«والد لابنة تقدمت لامتحان القبول فى إحدى الجامعات المعروفة بشدة حرصها فى اختيار من يلتحقون بها . تتقدم إلى قاعة الامتحانات فتاة شعرها أحسن تصفيفه وأتقن ، ملابسها أنيقة ، تغطى وجهها بطبقات مبذرة من المساحيق ذات الألوان . وتجلس الطالبة وتبدأ كتابة الإجابات ، ولكن عينى أحد المراقبين تحملقان فى هذه الجالسة ذات المساحيق الصارخة ، التى تملأ الأوراق أمامها وبما تكتبه من إجابات وهى إجابات واثقة من التصميم البادى على الوجه ، وثبات حركة القلم على الورق . وينظر مراقب اللجنة نحو غيرها من الطلبة والطالبات ، ولكنه يعود فينظر إليها . وينتهى موعد الامتحان ، وتسلم أوراق الاجابة . ولكن .. ربما فى غمرة حماس الطالبة حكت بظفرها ذقنها ، فضاع جزء من (الماكياج) أو سقط ، وظهر جزء الذقن الذى كشف المستور ، تقدم

المراقب ورفع باروكة الشعر ، فظهر شعر رأس قصيرا فيه شيب ، وسقط العرق مزيلا طبقات من الأصباغ . وكأنما يرفع الستار عن مهزلة... لقد كان هو الأب . واعترف قائلا إنه كان يريد مساعدة ابنته» . وتعلق المؤلفة مبينة أن الآباء كما أنهم يلتزمون ويساعدون أبنائهم الذكور، فهم كذلك ملتزمون بنفس القدر أمام بناتهم .

وفى نطاق إعداد التلاميذ للامتحانات .. يدفع بعض أولياء الأمور ، بأبنائهم وبناتهم إلى مدارس الجوكو ، سواء كانوا من الـ ١٠٪ أم من غيرهم . وقد أدى هذا إلى تضخم فى الاستعدادات للامتحان ، فقد وصل عدد من يلتحقون بالجوكو إلى ٨٦٪ من التلاميذ فى السنتين الأخيرتين من المدرسة الابتدائية ، وترتفع النسبة إلى ٩٠٪ بين تلاميذ المدارس الثانوية ، ويتم هذا فى المناطق الحضرية . يتطلب الالتحاق بالجامعات المشهورة بذل هذا الوقت والدرس والتكاليف [٨] . وتطورت المنافسة فى امتحانات القبول للجامعة إلى الدرجة التى أصبح بعض الآباء يلحقون أطفالهم فى دور الحضانة المتميزة حتى يضمنون استمرار التحاقهم بعد ذلك فى رياض الأطفال ، والمدارس الابتدائية ، ثم الإعدادية والثانوية ذات الصيت العالى ، والسمعة العلمية المتميزة ، ثم جامعة مرموقة .

ومن رونالد دور تقتبس المؤلفة فتقول : إن بعض دور الحضانة تتطلب عقد لقاءات وامتحانات لأولياء أمور الأطفال المتقدمين للحضانة ، فلا يمكن أن يجلسوا ذوى السنتين من العمر لامتحانهم فهذا مبكر جدا جدا !! [٩] . وتمتد آثار ضغوط الامتحانات ، لتظهر على الآباء والأمهات ، فكلهم مصاب بالقلق ، خاصة فى تلك الأسر التى تتطلع إلى الحراك الاجتماعى ، أو الإبقاء على منزلة اجتماعية ، والتربية هى وسيلتها إلى ذلك . أما فى الولايات المتحدة الأمريكية .. فلا يلاحظ هذا القلق إلا عند أفراد الأسر فوق المتوسطة ، أو عند أغنياء منهاتن فى نيويورك .

وإنصافا لأولياء الأمور اليابانيين فتقول المؤلفة : إنهم غير راضيين عن نظام الامتحانات ، وما يسببه من قلق ، ولكن ما حيلتهم ؟ ماذا يفعلون ؟ البديل الوحيد أمامهم ألا يخضعوا لنظام الامتحانات ، وأن يخرجوا أبناءهم من دائرتها ، ولكن معنى ذلك أنهم يقللون جدا فرص النجاح الأكاديمى ، وتولى المناصب المهمة أمام فلذات أكبادهم.

إن لجوء التلاميذ لدروس التقوية فى مدارس الجوكو ، جعل هذه المدارس المسائية تتسع ويكثر انتشارها . وخرج نظام الامتحانات والجوكو عن قدرة المسئولين عن التحكم فيها ، والمشكلة تتفشى ، ومن الصعب تغيير النظام . والغريب أنه مع عدم رضا الآباء ، فهم يرفضون التغيير خوفا من أن أى تغيير جذرى ، قد يقلل من تكافؤ الفرص لأبنائهم ، أو أنهم لايضمنون عواقب التغيير .

وعن نظام الامتحانات اليابانى .. يقول رونالد دور :

«أشك فى رغبة المسئولين اليابانيين إحداث تغييرات فى نظام الامتحانات ، ومع أنهم لا يوافقون عليه تماما ... فإن جحيم الامتحانات يفرق بين من اجتهدوا وبين من لم يجتهدوا ، والتلميذ الذى لايستطيع تحمل هذا الضغط النفسى لا جدوى منه .

.... وطالما أنك تستطيع أن تبعد المراهق فى هذه السنوات الخطرة من الانزلاق إلى أفعال شائنة . وبدلا من هذا ينكب على المذاكرة والتحصيل من الصباح الباكر إلى قبيل منتصف الليل .. فإنك تضمن للمجتمع استقرارا وبعدا عن المشكلات التى قد يسببها هؤلاء المراهقون...

فهل يفكر اليابانيون بهذا الأسلوب» [١٠]

(٣-٨-٥) : الأم والأبن والامتحان

نظرا لأن الأمهات حريصات على مسايرة النظام الموجود والخاص بالامتحانات .. فإنهن وراء أبنائهن يشجعوهن على الاستذكار اليومى بعد العودة من المدرسة . وإحساسا من الأم بالعبء النفسى الذى تولده الامتحانات لابنها .. فإنها تحاول أن تأخذ جانبه ، وتشعره أنها فى صفه ومعه ، وتتحالف معه (بالاتفاق مع المعلم) ضد نظام الامتحانات. وتعمل الأم مع ابنها -كفريق- بكل جد للانتصار على الامتحانات. وهى دائمة التشاور مع معلمى ابنها عن أفضل الطرق ، والأساليب التى تتبع وتأتى بنتائج طيبة معه ، وقد يؤدى هذا إلى إحساس الابن بأن أمه والمعلمين يخففون الضغط عليه وأنهم فى صفه ضد الآثار الضارة للامتحانات . يحس الطفل - عندئذ - أنه إذا أحسن الأداء استعدادا للامتحان .. فإنه يرضى نفسه كما يرضى أمه ومعلميه .

وإذا لم يحسن الطفل الأداء فى الامتحان .. تعمل الأم على ألا يشعر أن فشله كان بسبب خطأ منه ، أو أنه أقل ممن أحسنوا الأداء . لماذا تفعل الأم هذا ؟ .

لأن اليابانيين يعتقدون أن الامتحانات تقيس فقط «القدرات» ، وهذه تختلف عن «نفس» الطفل . لذلك .. فبالرغم من أدائه الأقل فى الامتحان .. فإن هوية الطفل وإحساسه بقيمة نفسه لاتمس . يضاف إلى هذا أن «الهزيمة» ، أو «الفشل» تنسحب على الأم وعلى المعلمين ، فهى «هزيمة فريق» ، أى هزيمة جماعية . وتلقى الأم لوما شديدا على نفسها ، وقد تحتجب لأسابيع فى البيت ، خجلا من الظهور بين جيرانها .

تمتد فترة الاستذكار بعد عودة التلميذ من المدرسة الإعدادية والصفوف العليا من المدرسة الابتدائية ، إلى عدة ساعات تزيد إلى أن تصل إلى حوالى خمس ، أو ست ساعات يوميا لتلميذ المدرسة الثانوية . وكما ذكرنا سابقا ... فإن الأم اليابانية تساعد طفلها وهو يذاكر ، خاصة فى المرحلتين الابتدائية والإعدادية ، بل إن بعض الأمهات

يذاكرن بأنفسهن الدرس قبل موعد حصة هذا الدرس فى المدرسة ، فهن على استعداد لمساعدته حين يبدأ المذاكرة مع توفير أسباب الراحة ... مع الشطائر والمشروبات . ليس معنى هذا أن الأم تقوم بعمل الواجب المدرسى ، فمجرد وجودها إلى جانبه - وهو يستذكر - مهم .

وتظهر أهمية رعاية التلميذ أثناء مذاكرته فى إعداد المكان ، والأدوات اللازمة والمريحة والتى تبعده عما يشغله . وهناك فى الأسواق اليابانية أدراج ، أو مكاتب صممت وجهزت بكل التسهيلات ، والإمكانات التى تريح وتفيد التلميذ ، الذى يجلس إلى كتبه وكراساته يستذكر فى البيت .

* * *

وبصدد تعليقنا على نظام الامتحانات فى اليابان وما يصاحبه من قلق .. فإننا مع القارىء المصرى بأنه يقرأ معلومات ، معظمها ليس غريبا عنه ، فهو يعرفها حق المعرفة ، وكأنما يقول لنفسه : تماما كما يحدث هنا . ويصر بعض المربين اليابانيين إن القلق النفسى الذى يصاحب الامتحانات يصنع الرجال ، أى إن التلاميذ يجب أن يحسوا بالمعاناة ، يحس منهم من يريد التفوق ، فلا يجب أن تقدم الشهادات على أطباق من ذهب بأقل جهد ، وإلا فالنتائج وخيمة . وسوف نتطرق فى الصفحات القادمة لمدارس الجوكو ، وعندنا الدروس الخصوصية منتشرة وقد يحتاجها معظم الطلبة ، بل والتلاميذ ثم أخيرا الأطفال . هل لنا فى نظرة متفحصة عن الامتحانات وكيف تكون من خلال بحث علمى، لايعتمد على استبيان يقدم لأولياء الأمور ، فهم يريدون النجاح لأولادهم ولابد أن تأتى الأسئلة سهلة ... لحساب من هذا الفرح بالنجاح الرخيص نسبيا ؟ ثم أليس من واجب الطالب ، أو التلميذ أن يجهد نفسه ويتعب فعلا ؟ لا فى أسابيع قليلة قبل الامتحان ، بل طوال السنة ؟ أليس التحصيل الدارسى هو الواجب

الأول للمتعلم ؟ . ثم نتساءل : مادور وموقف وسائل الإعلام عندنا ؟ هل لغضبة من عدد من التلاميذ تكاسلوا يصير تضخيم وتعميم وإلقاء اللوم حتى وصلنا إلى الدرجة التى يضغط بها نفر قليل من أولياء الأمور ، ويتدخلون فى توزيع الدرجات وتقدير سهولة وصعوبة الأسئلة !! ... والمسألة تتطلب وقفة مصارحة من أجل مصر .

(٢-٨-٦) : الفصل المدرسى والجوكو

أحيانا .. يلجأ أولياء الأمور إلى معلم يعطى الابن دروسا فى البيت إذا عانى صعوبة فى مادة ما . وإلى جانب هذا ... فهناك مدارس الجوكو ، وهى نوعان : النوع الأول يشتمل على الفصول العلاجية «Remedial» لمن تخلفوا فى التحصيل الدراسى، أما النوع الثانى .. فهو الذى يعد التلاميذ للامتحانات، ويتضمن دروسا.. إما تسبق دروس المدرسة ، أو تواكبها . كما يضم التلاميذ الذين يريدون الالتحاق بالجامعات فى المستقبل . وفى هذا النوع الثانى .. يقدم التلاميذ مستوى متقدما من المادة ، يعلو عن مستوى المقرر العادى الذى تقدمه المدرسة فى حدود المنهج .

وكما هو معروف .. فإن مدارس الجوكو تشترط مستوى متقاربا بين التلاميذ فى كل مجموعة يضمها الفصل الواحد ، وهذا بعكس الحال فى المدارس الحكومية ، حيث توجد مستويات مختلفة فى الفصل الواحد ، فالجوكو تعمل على تدريب التلاميذ على النجاح فى الامتحانات وتقوية الضعاف فىْ مواد دراسية ، لذلك فالعمل فيها مباشر وموجه نحو التحصيل .

إذن ... فنحن أمام بيئتين تعليميتين : أولاهما ، المدرسة النظامية الحكومية كما عرضناها من كتابة المؤلفة ، وظهر لنا هذا المناخ المدرسى المشبع بالانفعالات والعلاقات الإنسانية الطيبة ، والاتجاهات الأخلاقية ، والعمل التعاونى ، والصلات

الوطيدة بين المعلم وأولياء الأمور . وعرفنا عن الرحلات المدرسية ، وتحمل المسئولية ، وما يحدث عندما يرتكب واحد من المجموعة خطأ ، وناظر المدرسة واجتماعات الآباء والمعلمين ، واجتماعات المعلمين ، وغيرها.

تلك مدرسة حكومية مجانية ، وهناك مدرسة أخرى تبدأ بعد ظهر كل يوم، جعلت النظام التعليمى منشقا إلى نصفين لكل هدف . ونتكلم عن الجوكو : يمكن أن يذهب التلميذ إليها مرة واحدة فى الأسبوع لمدة ساعة ونصف مثلا ، أو يذهب أكثر من مرة ، فهو يريد تقوية فى مادة دراسية هو ضعيف فيها ، أو يريد استزادة فى مقرر آخر ليحصل على درجات أعلى ، أو يريد أن يبكر بدراسة مقررات سوف يدرسها (فيما بعد) . فى المدرسة الحكومية .. تتحدد العلاقة بين المعلم ، والتلميذ . أما فى الجوكو فالصورة مختلفة عن المدرسة الحكومية ... فلا يعرف معلم الجوكو تلاميذه معرفة شخصية، أو يعرف أولياء أمورهم ، وهم لايعرفونه بالتالى ، ولا يعرف التلاميذ بعضهم بعضا فى الفصل الواحد، وإنما هناك على الجباه شعارات مطبوعة على أشرطة قماش هائجة مائجة فى الفاظها ، تدعو إلى التميز والتفوق مثل : «أنا الأول»، و «أنا مستعد» ، وأنا ..... وأنا ..... ويحدث كثيرا أن يكون هناك تهريج بعد أن تنتهى حصة ما ، ويندفع التلاميذ خارجين مرددين عبارات تعنى (نحن) ، وأن (الامتحانات تحت سيطرتنا) ، و (الامتحانات لعبتنا) ، ويسمح بهذا (التهريج) لأن العمل داخل حجرة الدراسة فيه التنافس على أشده ، وللدقيقة ثمنها بالين اليابانى ، فهى مدارس تجارية أولا وآخرا ، ويذهب إليها (الزبائن) يأخذون ثمن ما يدفعون ، فلا وقت عندهم للعلاقات الإنسانية والتعاون والشخصية المتكاملة وغيرها ، فتلك لها مكان آخر يبدأ كل يوم (إلا يوم الأحد) مع الصباح الباكر، وينتهى كل يوم بعد الظهر.

ماذا فعلت الجوكو بمعلم المدرسة الحكومية النظامية ؟ لقد فقد المعلم أحد وظائفه الأساسية فى تربية التلاميذ ، ألا وهى المرتبطة بالجانب العلمى التحصيلى (بسبب

وجود الجوكو) ، فقد كان هو الذى يحيط أولياء الأمور بتقدم أبنائهم الدراسى ، ومستواهم، ويرشدهم فيما يتعلق بمستقبل أبنائهم الدراسى ... ونتيجة وجود الجوكو.. تدخل - فى هذه المسئولية - معلم الجوكو الذى لايعلم عن التلميذ إلا مستواه الأكاديمى فى المادة التى يدرسها له ودفع مصاريفها . وأصبح معلم المدرسة الحكومية لايعلم شيئا عما حصله تلميذه فى مدرسة الجوكو ، وبالتالى كيف أصبح مستواه ، وبالتالى ماذا يقول لوالديه إذا سألوه ؟ أو أراد هو أن ينصح ويوجه ؟

(٢-٨-٧) : مدرس الجوكو

لاتدرى الحكمة فى اختيار المؤلفة لهذا المدرس بالذات ، ولهذا الجوكو بالذات ... فلا هو نموذج لمدرس الجوكو التى أعطتنا أطرافا عنهم سابقا ، ولا مدرسته نموذج لمدرسة الجوكو التى قدمت للقراء فى صفحات سابقة، ومع ذلك .. فلنقص عليكم قصة تادانو ساجارا Tadano Sagara كما أوردتها المولفة .. «هو رجل فى الحادية والأربعين من عمره ، تخرج فى قسم الفلسفة بجامعة طوكيو ، ولكن قبل تخرجه حدثت إضرابات فى الجامعة فى أواخر الستينات توقفت بسببها الدراسة ، فلجأ مع زميلين إلى فتح فصول جوكو للحصول على مورد مالى حتى تهدأ الأمور فى الجامعة ، وتخرج من الجامعة ومازالت الجوكو موجودة ، ولكنه استقل بها بمفرده فهو الذى يملكها» .

جوكو ساجارا عبارة عن حجرة فى الدور الثانى فى بيت ، يسكنه فى نهاية إحدى الحارات المتفرعة من شارع فى أحد أحياء طوكيو ... الحجرة بسيطة ومنظمة بها عدة أدراج ومقاعد وسبورة ، وفى ركن منها حوض به صنبور يعلوه ، رف عليه الشاى وأدوات صنعه . القادم إلى هذه الحجرة (وهى جوكو ساجارا) يصعد إليها عن طريق سلم بعد أن يخلع حذاءه . وكثيرا ما كان ساجارا يسأل نفسه ، بل ويسأله غيره عن هذه الطريقة التى اتخذها لكسب العيش ، وهو خريج جامعة طوكيو !! .

ويأتى التلاميذ إلى جوكو ساجارا بعد انتهاء اليوم المدرسى مرة ، أو مرتين كل أسبوع فى عدد قليل ، فالحجرة لا تستوعب أكثر من ٨ إلى ١٠ تلاميذ فى وقت واحد. وكان تلاميذه من مدارس إعدادية ، أو ثانوية من الحى الذى يعيش فيه ، فهو معروف فى هذا الحى ويتردد اسمه ومدرسته بين السكان ، لذلك فهو لايعلن عن مدرسته كما تفعل مدارس الجوكو الأخرى ، التى تبعث بنشراتها إلى المدارس الحكومية حتى تكون بين أيدى تلاميذها وأولياء أمورهم . ويتقاضى ساجارا رسما موحدا من كل تلميذ يصل إلى ما يعادل حوالى ٨٤ دولار شهريا . وكل تلاميذه يستعدون لامتحانات القبول فى المدارس الثانوية وامتحانات القبول بالجامعة ، ولا توجد بينهم حالات علاجية دراسية .

ويقول ساجارا إن كل تلاميذه من النابهين ، ولكن بعضهم يعانى من بعض المشكلات الناجمة عن اتجاهات غير سليمة لديه ، ترتبط بمواقف دراسية أو مستقبلية ، كما أن بعضهم يحتاج لتكوين عادات سليمة للمذاكرة والتحصيل الدراسى .

وذات يوم جاء تورو «Toru» - تلميذ فى الخامسة عشر من عمره - تصحبه أمه وهى أستاذة بالجامعة . تورو تلميذ خجول عنيد ، ويتمتع بذكاء عال ، لكنه يضع لنفسه مستوى طموحا مبالغا فيه ولا يرضى بأقل منه ، ولذلك فهو دائما محبط وغير سعيد . كونت له رغبته فى الكمال مشكلة ، وكذلك حرصه على استقلاليته ، فهو يصر على أن ينجز الأعمال بطريقته الخاصة ، فمثلا ... يحدد مواعيد استذكار دروسه من الواحدة بعد منتصف الليل إلى السادسة صباحا ، وهذا يقلق أمه ، كما يصر على أن يستذكر من المواد ما يفضله منها فقط . ولذلك فإن ساجارا هدف إلى تعديل تلك الاتجاهات والعادات ، وقد نجح .

وفى اسلوب تعامل ساجارا مع تلاميذه .. يؤمن بأن لكل قدراته الخاصة به ويعامله على هذا الأساس ، وبذلك فإن أسلوبه يختلف تماما عن أيدلوجية المدارس الحكومية وفلسفتها ، وطرائق التعامل فيها .

ويقول ساجارا : إنه يعرف تلاميذه أكثر من معلميهم فى المدارس ، فأمام كل معلم أكثر من أربعين تلميذا ، أما عنده فالعدد أقل بكثير من هذا ، وأن مؤسسته التعليمية هذه تشبه مدارس المعابد (تيراكويا) القديمة ، حيث تكون العلاقة بين المعلم والتلميذ وطيدة وشخصية . ولكن معظم مدارس الجوكو تختلف عن مدرسة ساجارا تماما ولذلك - فكما علقنا فإن مدرسته ليست جوكو نمطية - فنحن لانعرف ما إذا كان ساجارا يدرس مواد علمية أم يكتفى بتعديل الاتجاهات والعادات ؟ . ولذلك ... فمدرسته، كما أكدنا ليست جوكو نمطية . ويعتز ساجار بأنه يتقابل مع أولياء أمور تلاميذه بعكس مدارس الجوكو الأخرى مرتين فى السنة ، للتشاور معهم فى تقدم أبنائهم الدراسى . وفى معاملة ساجارا لتلاميذه .. يبدأ بتلبية رغباتهم واتجاهاتهم كما يريدون ، ويتدرج معهم حتى يرتضوا ويقتنعوا بنصائحه ، لكنه لا يبدأ بفرض رأيه ويصر عليه كما يفعل بعض أولياء الأمور والمعلمين .

وتقول المؤلفة إنها قابلت بعض تلاميذ ساجارا ، وبعض الذين أنهوا التعليم الثانوى ، والذين يقولون إنهم تخرجوا فى جوكو ساجارا ، وقد سمعت مديحا وإطراء على ما قدمه لهم معتزين بأسلوب معاملته وأحاسيسه الدافئة نحوهم ، فكان لهم بمثابة الأب والأخ والصديق ... راهن مرة تلميذا ، ووعد إذا ظهر أنه على خطأ فسوف يحلق شعره فظهر أنه على خطأ وحلق شعره . ويعتبره بعض تلاميذه من أهم الأشخاص فى حياتهم.

كانت هذه قصة ساجارا كما سردتها المؤلفة ، ونحن نرى أن هذه الجوكو متفردة ولها فلسفتها الخاص ، فمدرسها خريج جامعة طوكيو تخصص فلسفة ، ولا نعتقد أنه

كان يدرس الفلسفة لتلاميذه من الإعدادى والثانوى ، ولكنه كان أقرب ما يكون إلى المرشد التربوى والنفسى ، يصحح المسارات ويوجه العادات ، كل ذلك فى إطار ذهبى حان عطوف ، وقد ساعد على ذلك العدد المحدود جدا من التلاميذ ، والحب الشديد من معلم لعمله ، ولمن يأتون إليه غير مجبرين ، ولكنهم فى حاجة إلى حكمة من يكبرهم . هل يمكن أن نتخيل مدرسة ثانوية فيها الروح الساجارية متمشية - جنبا إلى جنب - مع التحصيل العلمى الأكاديمى ... ؟ ولكن آه من جحيم الامتحان .

(٣-٨-٨) : الإصرار على التوافق

ويظل المعلم فى المدارس الحكومية هو العماد الرئيسى للأهداف الأخلاقية والاجتماعية ، فعليه مسئولية تعليم وتدريب الأطفال على السلوك الاجتماعى السليم، مثل : التعاون ، والمشاركة ، والحساسية نحو مشاعر وآراء الآخرين واحترامها ، ومحادثة ومناقشة الكبار بكل تبجيل واحترام . كل هذه الفضائل ... متضمنة فى العملية التربوية التعليمية ، فالمعلم عندما يقف أمام تلاميذه يعلمهم ... يجب أن يخطط ويعمل على بث هذه الفضائل : باللفظ ، بالحركة ، بالنظرة ، بالتعاطف الوجدانى .. على أن يكون هو نفسه النموذج الذى يحتذى .

ونشير هنا إلى ما يطلق عليه المنهج المستتر، وهو ما نتكلم عنه اليوم فى مصر باهتمام . وفى اليابان .. إذا أحسن فرد السلوك فلا يرجع هذا إلى أنه تربى تربية ممتازة ، ولكن لأن هذا السلوك هو المفروض منه ، والمسلم به ، ومن كل يابانى : فى المدرسة وخارجها وفى المجتمع كله . فإذا حاد أحد عن هذا السلوك ، فهو مختلف عن المتوافقين وعن المجموع ، إذ المفروض أن كل طفل فى المدرسة نال التربية الممتازة ، فهذا هو الانسجام والتوافق الخلقى والاجتماعى ، الذى تصر عليه التربية اليابانية .

ونحن نسأل : وهل هذا حادث فعلا ؟ وفى رأينا أن مجتمع الملائكة لم يوجد بعد ، ولا بد أن هناك أفرادا ضلوا الطريق ، وكونوا نشازا فى سمفونية ، المفروض انها متناغمة متناسقة . ولكن الأقلية القليلة لاتستطيع أن تمحو جمال اللحن فى عموميته.

ومع ذلك ... فالتأكيد ملموس على التوافق والانسجام فى الديناميات النفسية للتعلم . ولا شك أن أولياء الأمور اليابانيين يريدون الأحسن والأكمل لأبنائهم الآن وفى المستقبل ، وهذا يعنى حصولهم على أحسن تربية . وبالتالى .. فإن هذه التربية المثلى تعنى إلحاقهم بجامعات متميزة ، وهذا يكاد أن يكون مستحيلا بدون التحاق التلاميذ بمدارس الجوكو !! .

ومن وجهة نظر تلاميذ المدارس الثانوية ... فإن الخبرة التى يعيشونها فيها لاتقتصر فقط على إعدادهم للامتحانات ، فهم مهتمون أيضا بالصداقات التى يجدون فيها كل التأييد والتعضيد والمؤازرة ، ولا يستشعرون من أصدقائهم بأى تنافس شكاك. وكما كان الحال فى المدرسة الإعدادية .. فإن التنافس فى المدرسة الثانوية لايكون بين التلاميذ بعضهم البعض ، ولكن يوجه كفاح التلاميذ ضد نظام الامتحانات، ونحو مفهوم النجاح .

وبالمثل ... لايكرس كل معلمى المدرسة الثانوية كل وقتهم وجهدهم لإعداد تلاميذهم للامتحانات . ويهمهم أيضا - إلى جانب ذلك - تنمية النواحى الأخلاقية وإشعال الدافعية للتعلم وحبه ، ويتحقق ذلك عندما يحب المعلم ما يعمله ، فيجب أن تكون للتعلم بهجته ، وأن يشارك المعلم المتعلمين فى الاستمتاع بهذه البهجة .

(٢-٨-٩) : من هو المراهق ؟

لم ينظر عبر الأجيال السابقة إلى الأبناء والبنات فى المرحلة العمرية من ١٣ إلى ١٩ سنة ، على أنهم يشكلون فئة لها اسم أو لقب ، ولها مشكلات خاصة بها . فليس فى اللغة اليابانية كلمة تعتبر ترجمة لكلمة «teenagers» . وفى السنوات الأخيرة فقط بدأ اهتمام اليابانيين بسلوك واتجاهات أفراد تلك الفئة العمرية .

يقول توماس رولن Thomes Rohlen [١] : يطلق عادة على من يدرسون فى المدارس الثانوية تعبير «أطفال المدرسة الثانوية» ، وذلك نظرا لأنه لاتوجد فى اليابانية كلمة تقابل "teenagess" . ولكن عندهم لفظا يشير إلى الأطفال فى الفئة العمرية من ٧ سنوات إلى ١٤ أو ١٥ سنة ، وهو "Shonen" ، ولفظا آخر للفئة العمرية من ١٥ سنة إلى ٢٤ سنة "Seinen" ، وحتى هذان اللفظان غير مستخدمين بكثرة . وكلمة «مراهقة» والتى تعنى فترة زمنية لها خصائصها عند الغربيين - والتى تبدأ مع بداية البلوغ إلى سن ١٩ - فهى أيضا بدون مرادف فى اللغة اليابانية . ويظهر أنه فى اليابان القديمة لم تكن هناك حاجة لتخصيص لفظ ، أو صفة تعبر عن التغييرات فى الغدد ، والمظاهر الجسمية ، وبداية بعض المشاكل السلوكية . وحتى فى يومنا هذا .. فإن أفراد هذا السن يعيشون مع أسرهم فى وئام ، ويلتزمون بالأعمال فى المدرسة، ويهتمون بتكوين الصداقات ، ولكن توجد أقلية ضعيفة تشذ عن العموم .

وتستطرد المؤلفة لتحكى عن أولياء الأمور فى الغرب فتقول : إنهم عندما يخشون تمرد أبنائهم المراهقين ... فإنهم يتبعون أحد مسلكين : فإما يستسلمون لرغبة المراهق فى الاستقلالية ، ليعيش مع رفاقه أو بمفرده بعيدا عن الأسرة ، أو أنهم يحاولون أحيانا يائسين فرض سيطرتهم على أبنائهم ، ويحققون هذه السيطرة بمنع المكالمات التليفونية، وكثرة الأسئلة والاستجوابات عن أين كانوا ولماذا تأخروا .. إلخ ،

مما يعتبره المراهق تدخلا فى شئونه ، وشيئا مهينا له . ويدافع أولياء الأمور عن أنفسهم قائلين إنهم يريدون حماية أبنائهم من رذائل الشارع ، ومن المحتمل أنهم يحمون أنفسهم من الصورة الكريهة التى يصورها المجتمع عن المراهق .

تتوقف النظرة إلى المراهقة وكيفية معاملة الذين يمرون بهذه المرحلة ، تتوقف على نوع الثقافة وما فيها من تقاليد وأعراف ، إذ ليس هناك اتفاق جامع مانع على أساليب التنشئة التى يمكن اتباعها فى كل المجتمعات . ونظرا للتغييرات التى طرأت على المجتمع اليابانى .. فقد اختلفت نظرة الراشدين نحو (المراهقين) . وقد تأثرت تلك النظرة اليابانية بعاملين : أولا ، التعاليم الكنفوشية الصينية ، وثانيا ، التقاليد اليابانية القديمة ، مع ما طرأ على المجتمع اليابانى من تغيرات ، بعد أن خرج من عزلته فى أواخر القرن الماضى . وقد أثر هذان العاملان على بلورة الفكر التربوى اليابانى منذ بداية القرن العشرين . ولكن ... مع كل هذه المؤثرات ، فإن اليابانيين ما زالوا ينظرون إلى مفهوم تنشئة الأبناء ، على أن للعلاقات الإنسانية الأهمية الكبرى أكثر من الدوافع البيولوجية الفطرية عندهم ، بمعنى أن العلاقات الإنسانية يمكنها أن تقوى قدرات وإمكانات الفرد أو تضعفها . وبمعنى آخر .. فالطفل ، أو حتى المراهق ، هو نتاج الظروف البيئية التى يحيطه بها الكبار ، فالفرد النامى طوع لمن يقومون على تنشئته ورعايته . وتؤكد النظرية التربوية اليابانية ، وأيضا أفكار الأمهات اللاتى توارثنها ، أن أخطاء الطفل تنجم من الظروف المجتمعية التى تشكل سلوكه .

فإذا رفض المراهق اليابانى الالتفات إلى دروسه ، أو أطلق شعره ينمو طويلا ، أو انضم إلى جماعة من الرفاق الفاسدين .. فإن المسئولين الكبار يرجعون أسباب تلك التصرفات إلى الأسرة والمدرسة ، ولا يعزونها ، إلا نادرا ، لأسباب سيكلوجية دفينة عند المراهق نفسه . إذن ... فهى مسئولية المدرسة عن شغل وقت المراهق بأنشطة هادفة، والتأكد من أنه يمارسها فعلا بالجدية المطلوبة . ويناط بأولياء الأمور (البيت) ، وضغوط الامتحانات شغل بقية الوقت .

تعتبر الصداقات بين الرفاق فى سن المراهقة من الأمور المهمة فى التقاليد اليابانية . وتنسحب هذه الصداقات بين تلاميذ المدارس الثانوية ، وطلبة الجامعة على من هم أقل سنا ومن هم أكبر سنا ، بمعنى أن المراهق يصادق فردا أقل سنا منه ، أو آخر أكبر منه عمرا ، وربما تستمر هذه الصداقات بقية العمر ، فقد يساعد الأكبر صديقه الأصغر فى البحث عن عمل ، أو حتى عن زوجة ، كما أن الأصغر يقوم بإنجاز بعض المهام مساعدة للأكبر . كان هذا فى الماضى ، أما حديثا .. فقد تحولت الصداقات إلى أن تكون بين الأعمار المتقاربة .

وفى دراسة حديثة .. أوضحت نتائجها اختلافات طريفة بين تلاميذ المدارس الثانوية اليابانية ، وبين نظرائهم فى الولايات المتحدة الأمريكية [١٢] ، كما يلى :

(١) غالبية صداقات اليابانيين تكون بين أفراد من نوع واحد ، أما الأمريكيون فيفضلون صداقة البنين مع البنات ، وليست صداقات النوع الوحد ، وتكثر المقابلات خارج المدرسة .

(٢) يهتم التلاميذ اليابانيون بالعمل الأكاديمى المدرسى أكثر من الأنشطة ، بينما يستمتع الأمريكيون بالأنشطة الاجتماعية والرياضية والفنية أكثر . ويعتبر اليابانيون الاشتراك فى تلك الأنشطة وسيلة لتدعيم الصداقات ، بينما ينظر الأمريكيون إليها على أنها ميزة تساعدهم على الالتحاق بالجامعة .

(٣) يقول المراهقون اليابانيون إن أهم شىء فى حياتهم هو التحصيل الدراسى ، بينما يقول الأمريكيون إن الجنس والعلاقات الرومانتيكية أهم شىء فى حياتهم .

(٤) وبينما يقرر الأمريكيون المراهقون أن آباءهم غير فخورين بهم ، يقول اليابانيون إن آباءهم يحبونهم ويعتزون فى فخر بهم . وعبر أحدهم عن ذلك بقوله «طبعا فأنا ابنهم» .

(٢-٨-١٠) : ماذا يفعل المراهقون اليابانيون إلى جانب الاستذكار ؟

يظن ... بعض اليابانيين أن هناك وقت فراغ كبير عند المراهقين ، وأن على الأمهات(!) ، والتربويين ، والمسئولين شغل هذا الفراغ بأعمال منتجة . ولا يختلف اليابانيون كثيرا عن أقرانهم الأمريكيين فى تمضية أيام الآحاد ، فهناك تجمعات صغيرة يشربون فيها القهوة ، أو يأكلون (الآيس كريم) ، أو يتجولون فى المحلات التى تبيع أزياء ومستلزمات المراهقين . غير أن بعض التلاميذ اليابانيين يفضلون الذهاب إلى مدارس الجوكو حتى فى يوم العطلة الأسبوعية ، أو يبقون للدرس والمذاكرة فى البيت. ويرى الزائر لمدينة طوكيو - أيام الآحاد - بعض المراهقين يتسكعون فى الشوارع ، أو يرقصون ، ويتم هذا فى أحياء معينة فى المدينة الكبيرة ، حيث تتجمع مجموعات من المراهقين فى أزياء غير مألوفة وكأنهم فى مهمة ويرقصون ، ثم يعودون إلى أزيائهم العادية . ويتم كل هذا تحت مظلة السلوك الاجتماعى الذى ارتضاه المجتمع ، فهذا (التهريج) متنفس لبعض المراهقين ، ولا يؤثر فى نسيج المجتمع .

هناك مظهر آخر مما يراه بعض المسئولين اليابانيين على أنه سلوك غير اجتماعى، يظهر فى انتشار كتب المانجا "Manga" ، وهى كتب رسوم كاريكاتورية تحكى قصصا غاية فى العنف والشراسة معتمدة على الصورة ، ونادرا ما تكون بها كلمات . وقد (يقرأ) طالب الثانوى ثلاثة من تلك الكتب أسبوعيا (يضم الكتاب الواحد حوالى ٣٥٠ صفحة) . وتصدر كتب المانجا عن مؤسسات كبيرة ذات الطابع التجارى ، واشتهرت شخصيات وأبطال قصص المانجا ، وخرجت إلى المراهقين فى شكل منتجات سلعية ، مثل : علب المعلبات ، والقمصان ، والملصقات التى توضع على نوافذ ، وأجسام السيارات ... إلخ . وقد حرمت المدارس دخول تلك السلع والملصقات .

أما عن حياة المراهق اليابانى فى الأسرة .. فتقول المؤلفة إنه يمضى وقتا قليلا مع أفراد أسرته ، فهو فى المدرسة إلى ما بعد الظهر ، ثم يعود منها إلى البيت لفترة وجيزة جدا ، لينطلق إلى مدرسة الجوكو ، إذا كان ملتحقا بها ، ثم يعود فى حوالى الساعة السادسة لإغفاءة يستيقظ بعدها لتناول طعام العشاء ويكون والده موجودا ، ثم يشاهد التليفزيون بعض الوقت ، ثم الاستذكار حتى ينام وقد ضبط (المنبه) ، ليصحوا فى ساعة مبكرة ويجلس إلى كتبه وكراساته . ثم يتناول مع أسرته طعام الافطار ، بل يزدرد الطعام فى عجلة ، ليلحق بموعد عربة المدرسة ، أو يركب وسيلة مواصلات أخرى ليصل فى موعده فى المدرسة . والمراهق حر فيما يتبقى من وقت بعد المدرسة والجوكو والمذاكرة (! ؟) ، وقد يمضى - أحيانا - عطلة نهاية الأسبوع (مساء السبت ويوم الأحد) فى زيارة أصدقائه بعيدا عن البيت ، وتقول المؤلفة إنها عندما تتحدث عن وحدة شمل الأسرة اليابانية.. فإن كلامها ينطبق غالبا على صغار الأطفال.

ونتكلم الآن عن الفروق بين البنين والبنات فى هذه المرحلة العمرية من الذين يتعلمون فى المدارس الثانوية ، فإن هذه الفروق تتزايد اليوم فى خبراتهم ، وفى توقعات الكبار منهم ... فللأولاد حرية أكثر فى اختيار أصدقائهم وتمضية أوقات معهم، أما البنات ... فليست لديهن كل تلك الحرية ، بل لابد أن يحرصن على نوعية الصديقات، ويلتزمن بمواعيد معينة عند الخروج والعودة إلى البيت . والملاحظ أن الأولاد يتلقون مساعدات مالية من الوالدين أكثر من البنات ، خاصة فى دفع مصاريف مدرسة الجوكو. وهذا لايمنع من اهتمام يوجه للبنات وتشجيعهن على الالتحاق بالجامعة .. فهذا التعليم يتيح لها فرصا لزواج أفضل أكثر من أنه يهدف إلى حصولها على وظيفة ، أو لاستقلالها ماديا . مع أن بعض الشباب اليابانى لايتحمسون للزواج من خريجات الجامعات المرموقة (مثل جامعة طوكيو) ، ويفضلون الفتاة الأقل تعليما واستقلالية .

(٢-٨-١١) : تلميذان فى المدرسة الثانوية

تعطى المؤلفة الأمريكية مثلين لطالبين فى المدرسة الثانوية اليابانية ، فتعرض صورا لحياة كل منهما ، وكأنما هى تريد أن يشعر القارىء ، وكأنه يعيش حياة أحد التلاميذ اليابانيين ، وهو يستعد لإنهاء مرحلة التعليم الثانوى . فنحن مع الأول وهو يمثل نوعا من الطلاب ، ليسوا حريصين على الالتحاق بجامعة مرموقة بعد إنهاء التعليم الثانوى ، ولا يمارس أولياء الأمور ضغوطا عليهم ، ويدفعونهم دفعا إلى ما يريدون . أما الصورة الثانية.. فتظهر طالبا تدفعه أسرته ، ليبذل قصارى جهده ، حتى يكون فى المقدمة .

(أ) المثال الأول : يوكيو تلميذ عادي

يسكن يوكيو مع أسرته فى مدينة صغيرة فى شمال شرق اليابان ، وصفها هارولد ستيفنسن [١٣] أنها تمثل طبيعة الأحياء التى تقطنها الطبقة المتوسطة . والده عامل فنى فى مصنع سيارات ، لم يكمل تعليمه بعد المدرسة الثانوية ،أما أمه فلا تعمل مع أنها أكملت تعليمها الثانوى . يوكيو هو الابن الأكبر ، وله شقيقتان فى سن ١٥ و ١٢ سنة ، وهما فى المرحلة الاعدادية . تهوى الأخت ذات الخمسة عشر ربيعا الموسيقى ، وتأخذ دروسا فى عزف الفيولين بعد اليوم الدراسى مرتين أسبوعيا ، أما الصغرى فتهوى الألعاب الرياضية . التحق يوكيو بمدرسة جوكو للتقوية فى دروسه هذا العام فقط .

يعتبر يوكيو نموذجا لما يطلق عليه المدرسون الطفل الشامل "all round boy"، فهو يستمتع بالرياضات المائية ، وهو عضو فى فريق الموسيقى بالمدرسة ، وله عديد

من الأصدقاء . انشغل عنه بعض الأصدقاء ، بسبب انهماكهم فى دراستهم واستذكارهم وذهابهم إلى مدارس الجوكو استعدادا لامتحانات دخول الجامعة ، أما هو .. فقد قرر الالتحاق بمعهد تكنولوجى ، ليتخرج فى نفس تخصص والده ، وحيث شروط الالتحاق أقل صعوبة .

كانت أمه تتمنى أن يلتحق ابنها يوكيو بإحدى الجامعات المرموقة ، وأن يعمل مستقبلا فى وظيفة إدارية ، ولكنها لا تضغط على ابنها لتحقق حلمها ، كما أنها بجواره وهو يذاكر وتشجعه . وقد حاولت أن تثنيه عن رأيه - بطريق غير مباشر - فتحدثت مع معلميه ومع المرشد التربوى فى المدرسة ، فقد يؤثرون عليه . ولكن عبثا.. فمعلموه عرفوه مجدا إذا أراد ، كسولا إذا لم يتحمس ، ولذلك فلم يحاولوا دفعه ضد رغبته .

وقد ابتعد يوكيو عن بعض أصدقائه الذين صوبوا تفكيرهم إلى الالتحاق بالجامعة ، فهو يرى نفسه على درب آخر غير دربهم . ونظرا لانشغالهم ابتعد عنهم وابتعدوا عنه ، كما أنه لا يصادق بعض زملائه فى الفصل من المتخلفين دراسيا ، وقد يتركون الدراسة . يوكيو تلميذ ذكى ، ويعلم هذه الحقيقة معلم الرياضيات فهو على ثقة أن تلميذه إذا أراد تفوق ، ويوكيو بالفعل يحب الرياضيات ، لذلك فهو متفوق فيها .

وتقول المؤلفة إن والد يوكيو - الذى يعمل عاملا فنيا فى مصنع للسيارات - كان يريد فى شبابه الالتحاق بمعهد تكنولوجى ، ولكنه اضطر إلى أن يعمل لحاجة أسرته . وقد استمر فى عمله هذا منذ ٢٥ سنة ، متدرجا فى سلك العمال (أى ذوى الياقات الزرقاء) حتى أصبح رئيسهم ، وله دور بارز فى اتحاد عمال هذا المصنع ، الأمر الذى قد يشغله عن أسرته لعدة أسابيع أحيانا .

عند عودة بوكيو إلى البيت - بعد انتهاء يومه الدراسى - يغلق الباب عليه فى حجرته ، ويستمع إلى الموسيقى بعد وضع سماعتين من جهاز الاستريو على أذنيه، حتى لايزعج غيره ، إلى أن يأتى موعد مدرسة الجوكو ، فينصرف إليها . ويجتمع مع أسرته على طعام العشاء ، ثم يشاهد التليفزيون إلا إذا ألحت عليه أمه ليذاكر . أما فى أيام الآحاد .. فأحيانا يأخذه والده معه لصيد السمك ، أو إلى ممارسة بعض الرياضات الخفيفة . وفى أيام آحاد أخرى .. يذهب مع صديقيه المقربين إلى السينما ، أو إلى الجلوس فى مكان عام لاحتساء القهوة ، وهما مثله ليسا من الفاشلين، كما أنهما ليسا من المتطلعين لدخول الجامعة : يهوى أحدهما الميكانيكا ، أما الآخر فيهوى الأدب والكتابة .

وفى المدرسة .. يركز بوكيو اهتماماته على الحفل الرياضى السنوى ، الذى يعد له لفترة طويلة ، ويشترك فى هذا الحفل الرياضى عدد كبير من التلاميذ والمعلمين والإداريين ، بل وبعض أولياء الأمور . ويتسم هذا اليوم بالمباريات الجماعية ، حيث توجد فى المدرسة أربع فرق تتبارى فى هيئة دورى فى لعبات مختلفة . والأمر المهم هنا أن هذه اللعبات جماعية .. فيصفق للفريق الأحمر مثلا وليس لفرد بعينه .

ويُختار بوكيو - لأنه فى السنة النهائية ، ولتمتعه بصفات تجعله يتميز بالشمول - كواحد من الحكام فى تلك المباريات ، التى يتولى مسئولية إدارتها والتحكيم فيها تلاميذ السنة النهائية . ويعتز بوكيو بنفسه عندما يقدم التقرير الختامى عن الحفل الرياضى ، نائبا عن كل طلبة السنة الثالثة .

وعلى الرغم من تفرق بعض طلبة المدرسة الثانوية فى مشاربهم ، وأغراضهم من الدراسة واتجاهاتهم المستقبلية المتنوعة .. إلا أن المدرسة الثانوية اليابانية تظل بيئة تؤكد التناسق والتناغم والارتباط ، أما مدارس الجوكو التى يذهب إليها التلاميذ بعد الظهر فى بعض الأيام ... فلها مناخ وأهداف أخرى .

وتقترب الأسابيع الأخيرة من العام الدراسى ، وتهل نسائم شهر مارس ، وتبدأ سحابات من الحزن يحس بها يوكيو ، فهؤلاء أصدقاء سيتركهم أو يبتعدون عنه ، وهؤلاء معلمون لم يكن على صلات طيبة معهم، ولكنه سيفتقدهم مع حنين إليهم .

ونحن مع المؤلفة لنستخلص من هذه الصورة بعض الملاحظات الجوهرية عن المدرسة الثانوية اليابانية وعن تلاميذها :

أولا : لايهدف كل من دخل المدرسة الثانوية إلى دخول الجامعة ، بل إن بعضهم يعتبر هذه المدرسة مرحلة نهائية . وبعضهم يختار مسارات أخرى بعد أن ينهى هذه المرحلة الثانوية ، ويساعدهم على ذلك تنظيم المنهج الدراسى ، ووجود مرشدين تربويين يوجهون الطلبة فى عملية الاختيار .

ثانيا : ليسوا الأذكياء - فقط - الذين يتجهون إلى الجامعة ، فهناك أذكياء ممن يفضلون مسارات ، وطرقا أخرى بعد الانتهاء من التعليم الثانوى .

ثالثا : يظل التعاون بين البيت والمدرسة مستمرا ، كما كان الحال أيام المدرسة الإبتدائية ، ولم يقلل كبر سن التلاميذ من دوام هذه العلاقة .

رابعا : مع وجود جحيم الامتحانات والتهافت على الجوكو .. إلا أن الأنشطة المدرسية مازال لها رونقها وسحرها والإقبال الحماسى عليها ، ولها دورها التربوى الشديد الأهمية .

خامسا : نعود فى هذه الملاحظة إلى المؤلفة التى تعطينا لمحة مهمة ، فهى تقول : إنه من الصعب على التلميذ فى اليابان أن يجمع بين أن يكون ذا شخصية متعددة المواهب والاهتمامات ، وبين أن يكون حريصا على الجلوس للمذاكرة والتحصيل الدراسى ، ومع أن أيدلوجية التربية اليابانية تتبنى فكرة (تنمية الشخصية المتكاملة للطفل) ، أى (الطفل ككل) .. إلا أنه عندما يصل المتعلم إلى

سن يوكيو فعليه أن يختار من بدائل متعددة أمامه ، بل قد يختار طريقا غير الذى تتيحه له قدراته ، فيوكيو كان متفوقا فى الرياضيات ، وكذلك فى الموسيقى ، ولكنه فضل أن يختار ميكانيكا السيارات .

(ب) المثال الثانى : نوبويا - حلم دخول الجامعة :

تلميذنا هذه المرة يختلف تماما عن يوكيو ، فهو يعرف بالضبط أين يسير وإلى أين المصير .... إلى الجامعة ... جامعة طوكيو . هو تلميذ فى السنة الثانية فى مدرسة ثانوية ، ذات سمعة راقية فى طوكيو ، لم يلتحق بها إلا بعد عناء امتحانات شديدة ، كان نوبويا (زبونا) دائما فى مدارس الجوكو منذ الصف الخامس الابتدائى . تخرج خاله فى جامعة طوكيو ، ولكنه لم يتخصص فى القانون ، الذى يعتبر أكثر التخصصات تميزا بها . أما والده فهو خريج جامعة ناجويا ، ثم نزح إلى طوكيو ، حيث يعمل بشركة ميتسوبيشى للصناعات الثقيلة .

لنوبويا أخت تصغره ، وهى تلميذة فى مدرسة إعدادية ، وهى غير ملتحقة بالجوكو ، ولكنها تعزف على البيانو وتأخذ دروسا فيه . ويأمل والدها أن تلتحق بعد المدرسة الثانوية بكلية متوسطة مدة الدراسة فيها سنتان ، أما هى ... فتريد معهدا عاليا مدة الدراسة به أربع سنوات ، ولا يستطيع الوالدان أن يتحملا تكاليف دراسية أكثر لأن مصاريف نوبويا الدراسية باهظة . وإلى جانب ذهابه إلى الجوكو مرتين فى الأسبوع .. فهو يأخذ درسا خصوصيا مرة فى الأسبوع - فى مادة الرياضيات - يدرسه له طالبا فى السنة الثالثة بالجامعة ، هو ابن صديقة لأمه .

وترجع لهفة نوبويا على الالتحاق بجامعة طوكيو إلى تأثيرات من أسرة أمه ، فأخوها (أى خاله) مقتنع بأنه سيكون طالبا متفوقا إذا دخل تلك الجامعة ، ويشجعه

بحماس على بذل كثير من الجهد قائلا له : ليس للقبول بجامعة طوكيو أبواب خلفية، ولا تجدى الرشاوى ، ولا المحسوبية ، ولا النفوذ ... اصطحب الخال ابن اخته فى زيارة للحرم الجامعى ، وقابل نوبويا بعض أساتذة الخال السابقين . ومنذ هذه الزيارة وظنت الأسرة أنه ارتبط بالجامعة وله اتصالات بها !!

وحسب رأى معلمى نوبويا ... فهو تلميذ نابه ولكنه ليس خارق الذكاء ، وليس له تميز صارخ فى أى مجال ، ولكنه جاد ويعمل بدأب شديد . وليس لنوبويا (شلة) أصدقاء ، وعلى أية حالة .. فإن جدوله المتخم المزدحم لايتيح له أوقاتا للعلاقات الاجتماعية والترفيه ، وهو لا يستمتع بالرياضة ، وليس له هوايات . ولكنه يلعب الشطرنج مع والده (!!) ، كما يشاهد برامج التليفزيون أحيانا .

حياة نوبويا هى : المدرسة الحكومية ، الجوكو ، الدروس الخصوصية ، بالإضافة إلى ذهابه صباح كل أحد إلى مدرسة للتدريب على حل أسئلة الامتحانات ، وهى تقع فى وسط طوكيو . لم تعد الأسرة تمضى الإجازات فى رحلات ، ولا تخرج فى زيارات سريعة ، بل إنه حتى فى ليلة رأس السنة - التى تعتبر أهم عيد يحتفل به اليابانيون- يذهب هو إلى الجوكو ... فى ليلة رأس السنة !! وهذا يمثل تأكيدا لإحساس التلاميذ بتضحية النفس والتعبئة الشاملة للامتحانات .

ويتنبأ معلموه - ولكن فى صوت هامس - بأنه سوف - ويترددون فى الإفصاح خوفا من عين الحسد الشريرة - سوف يلتحق بجامعة طوكيو . وفى حالة نوبويا.. فإنه راض ومصر على بذل قصارى الجهد ، ومستعد لتقبل توجيهات أمه . ومع ذلك... فإن بعض أفراد أسرته ومعلميه غير سعداء بحياته المحددة جدا ، مما انعكس على شخصيته ، فهو فاتر ، منصاع، سلبى، لا يقاوم التوجيهات الصادرة إليه . باختصار . ليس لشخصية نوبويا طعم . ولكنهم يقولون إن كل شىء سيتغير عندما يدخل الجامعة ، فسوف يكون لديه وقت كاف لبناء شخصيته ، وتكوين اهتمامات متنوعة.

(٢-٨-١٢) : مقارنة بين يوكيو ونوبويا

تعطينا حياة نوبويا صورة عن سلم النجاح المؤدى إلى تحقيق حلم مرتقب فى ظل النظام التربوى اليابانى . ويسعى المربون إلى زيادة مسارات التعليم ، وأن يعودوا إلى تشعيب التلاميذ حسب ميولهم وقدراتهم . ولكن أيدلوجية المساواة التى تصبغ الحوار التربوى (بفضل قرارات اتحاد المعلمين) قد منعت أى تغيير ، إذ يجب أن يظل حلم الالتحاق بجامعة طوكيو متاحا للجميع .

على عكس الحال عند نوبويا .. لم يجد يوكيو - الذى أظهر تفوقا فى الرياضيات - من يشجعه على التفوق فى بقية المواد الدراسية ، كما أن خطة الدراسة فى المدرسة الثانوية لاتسمح ، بل قد تعوق الطلبة - أمثال يوكيو - من تنمية استعداداتهم فى مجالات معينة . ويعتبر التخصص فى اليابان مشكلة فى حد ذاته ، فالمتخصص - كالغنى - يجد نفسه ، وقد انحصر فى دائرة لاتسمح له بتجاوزها والترقى إلى مناصب أعلى . ذلك أن الشركات تفضل تعيين موظفين جدد من غير ذوى التخصصات المحددة ، وتتولى هى تعليمهم وتدريبهم على طرق العمل الخاصة بها وكما تريدهم .

وثمة ملاحظة أخرى - ونحن نلخص خبرة التعليم فى المدرسة الثانوية اليابانية- هى: ولو أن بذل الجهد والكفاح لهما قيمتهما وأهميتهما ، فالمؤكد أن التنافس بين التلاميذ لا ينظر إليه بعين التقدير فى المدارس العامة ، وإن كان له أى تقدير ... فإن ذلك فى مدارس الجوكو ، بمعنى ما أكدناه - سابقا - من أن التوافق والانسجام يجب أن يسودا حجرة الدراسة ، وقد وضحنا أهمية اليوم الرياضى السنوى لكل مدرسة ، وكيف أن عمل الفريق يلغى فكرة التنافس الفردى ، فالفريق هو الفائز والفريق هو البطل ، حيث ليس بين تلميذ وتلميذ ، ولا بين تلميذ ومجموعة تلاميذ ، ولكنه مجهود يبذل ويقاس فى ضوء مستويات من الأداء متفق عليها .

وعندما يدفع المعلمون ، أو الزملاء فى مدارس الجوكو التلاميذ للاستذكار والحفظ للامتحانات .. فإن هذا النشاط ، فى الثقافة اليابانية ، هو وسيلة لشعور التلاميذ بالتقارب والتلاحم ، وليس لإشعارهم بالانقسام أو الفرقة ، أي إنهم يشعرون كما نقول عندنا هنا (كلنا فى الهم شرق) فتلميذنا نوبويا كان يجد متعة فى الذهاب إلى الجوكو ، ومع أنه كان يحب أن يظل ساهرا إلى وقت متأخر يستذكر دروسه ، إلا أنه لم يعترض أو يقاوم عندما كانت أمه توقظه مبكرا صباح أيام الآحاد ، ليذهب إلى مدرسة التدريب على حل أسئلة الامتحانات . ومع نوبويا .. يذهب عدد كبير من التلاميذ ، ولنفس السبب الذى يذهب إليه كل واحد يتدرب على حل أسئلة الامتحانات.

وتلاحظ المؤلفة الأمريكية أن تلميذ المدرسة الثانوى اليابانى مازال تحت مظلة الحماية ، إذا قورن بزميله الأمريكى ، وما زال اليابانى أيضا فى حاجة إلى العناية والرعاية والمساندة ، وأن يجد بجانبه من يركن إليهم ... وكل هذا وذاك يرفضه الطلبة الأمريكيون . ونرجو أن نذكر القارىء بقصة هذه الطالبة الأمريكية (سن ١٣ سنة) -التى أرسلت إلى أحدى الصحف - تطلب النصح وتشكو من تدخل أهلها فى شئونها (الخاصة) .. فإذا كانت قد نشئت على الاستقلالية منذ نواكير طفولتها ، فكيف لاتتمتع بها وهى فى المرحلة الإعدادية ! ! .

أما عند اليابانى .. فإن الاستقلالية وحرية الاختيار ليستا هدفين أساسيين للتطبيع الاجتماعى . ولذلك ... فهو فى غالبية الأحوال يعمل بقلبه ، للحصول على ما يعتقد أنه يريده ويحتاجه ، وما يريده المجتمع له لينجح فى الحياة .

* * *

نؤكد من جانبنا أن كل نظام تربوى - كما هو كائن - له تقدير بين أهله ، فلكل مجتمع ثقافته ، وجذوره الممتدة عبر عقود تقصر ، أو تطول ولكنها فاعلة . وليست الفكرة مجرد المقارنة بين النظام الأمريكى والنظام اليابانى من حيث ما يدرسه التلميذ ، والأنشطة المتاحة ، ونظام الامتحانات ، والعلاقات الاجتماعية ... إلخ ، فهذه أمور ميسر الحصول على معلومات عنها . ولكن الأمر المهم هو (الميتا Meta) التى وراء هذا الشكل الظاهرى ، فهناك ديناميات نفسية ، اجتماعية ، ثقافية وتاريخية ، اقتصادية، سياسية ... تتعامل كلها متفاعلة لتكون هذه الميتا ، أى ما وراء وجود النظام التربوى بشكله الذى هو عليه . لهذا ... فإذا صار إعجاب وتقدير لجانب فى ذلك النظام ، فى مجتمع ما ، فلا يعنى هذا بالضرورة أننا يمكن أن ننقله كما هو ، أى نستنبته فى نظامنا ، بل يجب أن نكيف ، وربما نغير شيئا ، أو أشياء فيه ، حتى نستطيع أن نجعله يتوافق وينسجم مع نظامنا . نرى أن النقل الحرفى قد يسبب متاعب، ومخاطر ، لذلك نقترح أن نستفيد من خبرات وتجارب غيرنا (ولا بد أن نستفيد منها) ولكن ، كيف تكون هذه الاستفادة ؟ وما السبل إلى الانتفاع منها ؟

(٢-٨-١٣) : خطة الدراسة فى المرحلة الثانوية

لم يرد فى كتاب د . ميرى هوايت توضيحا لمكونات خطة الدراسة فى المرحلة الثانوية ، واكتفت بالتركيز على أن الطلاب يلتزمون بمسار دراسى واحد ، وأن نسبة الاختيار المتاحة لهم تكاد تكون معدومة . واتضح ذلك فى المثالين اللذين قدمتهما لطالب ، يريد أن يتجه نحو التعليم المهنى ، والآخر الذى يريد أن يلتحق بجامعة مرموقة .

وقد تمكنّا من الحصول على خطة الدراسة لهذه المرحلة ، وأردنا أن نضيفها فى هذا الفصل ، لتوضيح عدد المدارس الثانوية العامة ، والثانوية المهنية سواء مدارس حكومية ، أم مدارس خاصة ، تتلقى المعونات من الحكومة وعدد التلاميذ الملتحقين بكل ، كذلك أرفقنا خطة الدراسة للتعليم الثانوى العام ، والذى يتبع نظام الساعات المكتسبة ، موضحين المقررات الإجبارية لجميع الطلاب ، ثم اتبعناه بمثال خطة دراسة للطالب الذى يريد أن يتجه إلى الدراسات الأدبية فى الجامعة ، ومثال آخر لخطة الدراسة للطالب الذى يريد أن يتجه إلى الدراسات العلمية .

وهناك خطط دراسية أخرى ، توضح برنامج التعليم الثانوى لمن يريد أن يتجه للتعليم المهنى سواء صناعى ، أم تجارى ، أم زراعى . ولكن .. حتى لايتضخم حجم الكتاب لم نرفقها هنا ، وهذا ما ورد فى تقارير إصلاح التعليم فى اليابان ، التى أوردناها فى الفصل الأخير من كتابنا .

جدول (٨-١) : عدد المدارس الإعدادية والثانوية ، وأنواعها ،

ونسبة كل منها ، وتجمعها : (سنة ١٩٨٦) .

تبعية المدرسة	نوع الدراسة	مدارس اعدادية	٪	مدارس ثانوية	٪	المجموع	٪
(أ) مدارس حكومية عامة	عامة / شاملة	١٠ر٥٩٥	١٠٠	٣ر٠٦٧	٧٣ر١	١٣ر٦٦٢	٩٢ر٤
	مهنية تقنية	--	--	١ر١٢٨	٢٦ر٩	١ر١٢٨	٢٦ر٩
	المجموع	١٠ر٥٩٥	١٠٠	٤ر١٩٥	١٠٠	١٤ر٧٩٠	١٠٠
(ب) مدارس خاصة تتلقى إعانات	عامة / شاملة	٥٩٥	١٠٠	١ر١٢٥	٩٣ر٨	١ر٨١٠	٩٥ر٧
	مهنية / تقنية	--	--	٨١	٦ر٢	٨١	٤ر٣
	المجموع	٥٩٥	١٠٠	١ر٢٩٦	١٠٠	١٨٩١	١٠٠
المجموع الكلى	عامة / شاملة	١١ر١٩٠	١٠٠	٤ر٢٨٢	٩٨ر٢	١٥ر٤٧٢	٩٢ر٨
	مهنية تقنية	--	--	١٢٠٩	--ر٢٢	١ر٢٠٩	٧ر٢
	المجموع	١١ر١٩٠	١٠٠	٥ر٤٩١	١٠٠	١٦ر٦٨١	١٠٠

جدول (٨-٢) : عدد التلاميذ الملتحقين بالمدارس الإعدادية

والثانوية بأنواعها المختلفة سنة (١٩٨٦) .

تبعية المدرسة	نوع الدراسة	مدارس اعدادية	٪	مدارس ثانوية	٪	المجموع	٪
(أ) مدارس حكومية عامة	عامة / شاملة	٥ر٩٢٢ر٧٦٠	١٠٠	٢ر٧١٣ر٢١٦	٧١ر٧	٨ر٦٣٥ر٩٧٦	٨٩ر-
	مهنية تقنيية	--	--	١ر٠٦٩ر٠٣٨	٢٨ر٣	١ر٠٦٩ر٠٨٨	١١ر-
	المجموع	٥ر٩٢٢ر٧٦٠	١٠٠	٣ر٧٨٢ر٣٠٤	١٠٠	٩ر٧٠٥ر٠٦٤	١٠٠
(ب) مدارس خاصة تتلقى إعانة	عامة / شاملة	١٨٢ر٩٨٩	١٠٠	١ر١٠٤ر٩٠٣	٧٥ر١	١ر٢٨٧ر٨٩٢	٧٧ر٩
	مهنية / تقنية	--	--	٣٦٦ر٠٢٣	٢٤ر٩	٣٦٦ر٠٢٣	٢٢ر١
	المجموع	١٨٢ر٩٨٩	١٠٠	١ر٤٧٠ر٩٢٦	١٠٠	١ر٦٥٣ر٩١٥	١٠٠
المجموع الكلى	عامة / شاملة	٦ر١٠٥ر٧٤٩	١٠٠	٣ر٨١٨ر١١٩	٧٢ر٢	٩ر٩٢٣ر٨٦٨	٨٧ر٤
	مهنية تقنية	---	--	١ر٤٣٥ر١١١	٢٧ر٣	١ر٤٣٥ر١١١	١٢ر٦
	المجموع	٦ر١٠٥ر٧٤٩	١٠٠	٥ر٢٥٣ر٢٣٠	١٠٠	١١ر٣٥٩ر٩٧٩	١٠٠

جدول (٨-٣) : خطة الدراسة (عدد المقررات والساعات المكتسبة) فى التعليم الثانوى العام .

مجالات الدراسة	المقررات	الساعات المكتسبة
اللغة اليابانية	اللغة اليابانية (١) *	٤
	اللغة اليابانية (٢)	٤
	التعبير فى اللغة اليابانية	٢
	اللغة اليابانية المعاصرة	٣
	كلاسيكيات	٤
الدراسات الاجتماعية	المجتمع المعاصر *	٤
	تاريخ اليابان	٤
	تاريخ العالم	٤
	الجغرافيا	٤
	أخلاقيات	٢
	سياسة واقتصاد	٢
الرياضيات	الرياضيات (١) *	٤
	الرياضيات (٢)	٣
	الجبر والهندسة	٣
	التحليل الأساسي	٣
	التفاضل والتكامل	٣
	الإحصاء والاحتمالات	٣
العلوم	العلوم (١) *	٤
	العلوم (٢) *	٢
	الفيزياء	٤
	الكيمياء	٤
	البيولوجى	٤
	الجيولوجيا (علم الأرض)	٤

(يتبع) :

الصحة والتربية الرياضية	التربية الرياضية * الصحة	٧- ٩ - ٢
الفنون	الموسيقى (١) .	٢
	الموسيقى (٢) .	٢
	الموسيقى (٣) .	٢
	فنون جميلة (١) .	٢
	فنون جميلة (٢) .	٢
	فنون جميلة (٣) .	٢
	صناعات يدوية (١) .	٢
	صناعات يدوية (٣) .	٢
	صناعات يدوية (٣) .	٢
	الخط اليدوى (١) .	٢
	الخط اليدوى (٢) .	٢
	الخط اليدوى (٣) .	٢
لغات أجنبية	لغة إنجليزية (١) .	٤
	لغة إنجليزية (٢) .	٥
	لغة إنجليزية (٢ أ) .	٣
	لغة انجليزية (٢ ب) .	٣
	لغة إنجليزية (٢ جـ) .	٣
الاقتصاد المنزلى	اقتصاد منزلى عام	٣

ملاحظات :

١- يمنح الطالب ساعة مكتسبة مقابل كل ٣٥ حصة لأى مقرر فى السنة الدراسية (مدة الحصة ٥٠ دقيقة) .

٢- من حق المدرسة أن تزيد عدد الساعات المكتسبة المخصصة لكل مادة فى الجدول العام ، وذلك إذا كان ذلك يتمشى مع مصلحة الطلاب ، أو لائحة عوامل مهمة أخرى .

٣- المقررات المميزة بهذه العلامة * هى المقررات الإجبارية لكل الطلاب بغض النظر عن المسار الذى يختاره .

٤- بالإضافة إلى المقررات الإجبارية المميزة بعلامة * .. فعلى كل طالب أن يتخير - على الأقل - مقررا واحدا من بين المقررات الآتية [الموسيقى (١)، الفنون الجميلة (١)، وصناعات يدوية (١)، والخط اليدوى(١)] .

وعلى الطلاب الذين يتخيرون مسار التعليم الأكاديمى العام أن يحصلوا على ثلاث ساعات مكتسبة ، أو أكثر فى مقررات الفنون .

٥- يعتبر الاقتصاد المنزلى العام مقررا إجباريا بالنسبة للطالبات ** .

٦- على جميع الطلاب فى المسار الأكاديمى العام الحصول على ١١ ساعة مكتسبة ، أو أكثر فى التربية الرياضية .

ونعرض فيما يلى .. مثالين (أ) لبرنامج الدراسة لطالب فى التعليم الثانوى العام ، يرغب أن يتجه فى تعليمه العالى إلى الدراسات الأدبية ، و (ب) برنامج لطالب فى التعليم الثانوى العام ، ويرغب أن يتجه فى تعليمه العالى إلى الدراسات العلمية .

(**) ورد فى تقرير إصلاح التعليم توصية بأن يكون الاقتصاد المنزلى اجباريا للبنين والبنات (انظر الفصل الأخير من الكتاب) .

(أ) جدول (٨-٤) : الساعات المكتسبة المطلوبة لطالب فى المرحلة الثانوية العامة ، ويريد أن يتجه إلى دراسة الآداب .

مجالات الدراسة	المقرر	الصف الدراسى ١٠ الأول	١١ الثانى	١٢ الثالث	الساعات المكتسبة
اللغة اليابانية	اللغة اليابانية (١)	٥			٥
	اللغة اليابانية (٢)		٥		٥
	لغة يابانية حديثة			٣	٣
	الكلاسيكيات			٣	٣
الدراسات الاجتماعية	المجتمع المعاصر	٤			٤
	تاريخ اليابان		*٦	**٤	١٠
	تاريخ العالم		(٣ × ٢)	(٢ × ٢)	
	الجغرافيا				
	سياسة واقتصاد			٢	٢
الرياضيات	الرياضيات (١)	٥			٥
	الجبر والهندسة		٣	٢	٥
	التحليل الأساسي		٢	٢	٤
العلوم	العلوم (١)	٤			٤
	العلوم (٢)			٢	٢
	الكيمياء				
	البيولوجى		٣	٢	٥

(يتبع) :

الصحة والتربية الرياضية	تربية رياضية صحية	٤*** ١	٤*** ١	٣	١١*** ٢
الفنون	الموسيقى (١) فنون جميلة (١) الخط اليدوى (١)	٢	١		٣
اللغات الأجنبية	اللغة الإنجليزية (١) اللغة الإنجليزية (٢) اللغة الإنجليزية ٢ ب اللغة الإنجليزية ٢ جـ	٥	٢ ٣	٣ ٤	٥ ٥ ٣ ٤
الاقتصاد المنزلى	اقتصاد منزلى عام	٢***	٢***		٤***
ساعات مكتسبة إضافية		٢	٢	٢	٦
المجموع لكل المقررات		٣٢	٣٢	٣٢	٩٦
أنشطة داخل المدرسة		١	١	١	٣
جمعيات وأندية		١	١	١	٣
المجموع الكلى		٣٤	٣٤	٣٤	١٠٢

* يحصل الطالب على ٦ ساعات مكتسبة من مقررين ، يختارهما من بين (تاريخ اليابان - تاريخ العالم - الجغرافيا) ٣ ساعات لكل مقرر .

** يحصل الطالب على ٤ ساعات مكتسبة من مقررين ، يختارهما من بين (تاريخ اليابان - تاريخ العالم - الجغرافيا) ساعتان لكل مقرر .

*** للبنات (ساعتان فى الصف العاشر ، وساعتان فى الصف الحادى عشر) (المجموع ٧ ساعات مكتسبة) .

*** * للبنات فقط (انظر التعديل والمقترح فى الفصل الأخير بأن يكون للبينين والبنات) .

(ب) جدول (٨-٥) : الساعات المكتسبة المطلوبة فى المرحلة الثانوية العامة ، ويريد أن يتجه إلى دراسة العلوم .

مجالات الدراسة	المقرر	الصف			الساعات المكتسبة
		١	٢	٣	
اللغة اليابانية	اللغة اليابانية (١)	٥			٥
	اللغة اليابانية (٢)		٤		٤
	اللغة اليابانية الحديثة			٤	٤
الدراسات الاجتماعية	المجتمع المعاصر	٤			٤
	تاريخ اليابان		٣	٢	٥
	الجغرافيا				
	سياسة واقتصاد			٢	٢
الرياضيات	الرياضيات (١)	٥			٥
	الجبر والهندسة		٣	٢	٥
	التحليل الأساسى		٣	٢	٥
	التفاضل والتكامل			٣	٣

(يتبع) :

العلوم	العلوم (١)	٤			٤
	الفيزياء		٣	٣	٦
	الكيمياء		٣	٣	٦
الصحة والتربية الرياضية	تربية رياضية	٤ +	٤+	٣	١١ +
	الصحة	١	١		٢
الفنون	الموسيقى (١) فنون جميلة (١) الخط اليدوى (١)	٢	١		٣
اللغات الأجنبية	لغة إنجليزية (١)	٥			٥
	لغة إنجليزية (٢)		٢	٣	٥
	لغة إنجليزية ٢ ب		٣		٣
	لغة إنجليزية ٢ جـ			٣	٣
الاقتصاد المنزلى	اقتصاد منزلى عام	٢ **	٢ **		٤
ساعات مكتسبة إضافية		٢	٢	٢	٦
المجموع لكل المقررات		٣٢	٣٢	٣٢	٩٦
جمعيات وأندية		١	١	١	٣
أنشطة داخل المدرسة		١	١	١	٣
المجموع الكلى		٣٤	٣٤	٣٤	١٠٢

* للبنات ساعتان فى كل من الصفين : العاشر والحادى عشر (المجموع للبنات ٧ ساعات) .

** الاقتصاد المنزلى للبنات فقط (انظر الملاحظة السابقة) .

جدول (٨-٦) : عدد المدارس الإعدادية والثانوية ، وأنواعها ، ونسبة كل منها ، وتجميعها (سنة ١٩٨٦)

تبعية المدرسة	نوع الدراسة	مدارس اعدادية	٪	مدارس ثانوية	٪	المجموع	٪
(أ) مدارس حكومية عامة	عامة / شاملة	١٠ر٥٩٥	١٠٠	٣ر٠٦٧	٧٣ر١	١٣ر٦٦٢	٩٢ر٤
	مهنية تقنية	--	--	١ر١٢٨	٢٦ر٩	١ر١٢٨	٢٦ر٩
	المجموع	١٠ر٥٩٥	١٠٠	٤ر١٩٥	١٠٠	١٤ر٧٩٠	١٠٠
(ب) مدارس خاصة تتلقى إعانة	عامة / شاملة	٥٩٥	١٠٠	١ر١٢٥	٩٣ر٨	١ر٨١٠	٩٥ر٧
	مهنية / تقنية	--	--	٨١	٦ر٢	٨١	٤ر٣
	المجموع	٥٩٥	١٠٠	١ر٢٩٦	١٠٠	١٨٩١	١٠٠
المجموع الكلى	عامة / شاملة	١١ر١٩٠	١٠٠	٤ر٢٨٢	٩٨ر٢	١٥٤٧٢	٩٢ر٨
	مهنية تقنية	---	--	١٢٠٩	--ر٢٢	١٢٠٩	٧ر٢
	المجموع	١١ر١٩٠	١٠٠	٥ز٤٩١	١٠٠	١٦٦٨١	١٠٠